روايات عالمية للجيب

33

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف

لا يعرف (روآلد دال) سوى عدد محدود جدًا من قراء العربية ، لكن بالنسبة لقارئ الإنجليزية فيشكل (دال) تراثًا عزيزًا جدًا وحميمًا من القصص التى تتراوح ما بين قصص الأطفال والقصص القصيرة غريبة الأفكار المفعمة بشخصيات كاريكاتورية لا يمكن نسيانها .

ولد (روآلد دال)(*) عام 1916 فى (لانداف) بمقاطعة (ويلز) الإنجليزية ، لأب مهاجر نرويجى ؛ تمنى دائمًا أن يتعلم أبناؤه فى مدارس بريطانية لأنه يعتبرها الأفضل ..

ونجحت الأم بعد وفاة زوجها فى إرسال (دال) إلى مدرسة داخلية هى (سانت بيترز) .. وكبر

(★) الاسم ينطق (رو ـ آلد) ، فلا تنس أنه من أصل نرويجى !

الصبى وعمل فى شركة (شل) للبترول ، التى أرسلته إلى (دار السلام) ثم (نيروبى) .. ونشبت الحرب وكاد يلقى حتفه فى الصحراء الليبية ، ثم نجا ليعمل طيارًا مقاتلاً فى اليونان ..

وينتهى الأمر بالفتى وقد صار مساعدًا للملحق العسكرى البريطانى فى (واشنطن) .. وكان هذا هو الوقت الذى كتب فيه قصة (الأقزام) ، التى اشتراها (والت ديزنى) ليخرجها فى كتيب للأطفال ..

لاقت قصص (دال) التالية نجاحًا ساحقًا ، وترجمت لأكثر من خمس عشرة لغة .. وفى عام 1990 توفى فى (باكينجهام شاير) تاركًا أتباعًا لكتاباته فى كل أرجاء الأرض ..

المجموعة القصصية التى بين يديك الآن هى سبع قصص قصيرة من مجموعته (قبلة .. قبلة) التى صدرت عام 1959 .. وأرجو أن تستمتع بها كما استمتعت أنا ..

د. / أحمد خالد توفيق

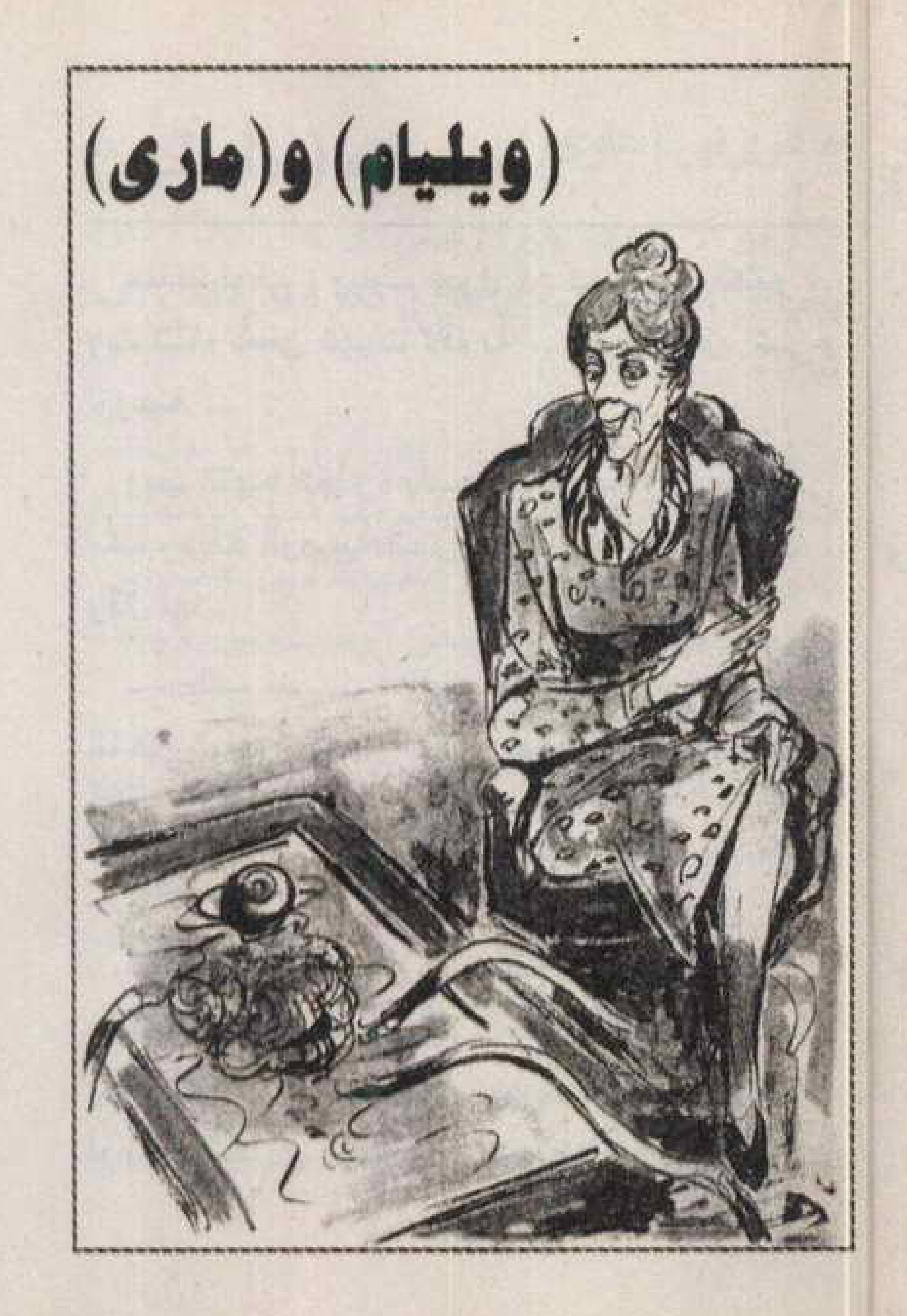
أهم أعمال (روآلد دال) :

سير ذاتية :

- ولَد : حكايات من الطفولة .
- المضىَ وحيدًا ..

قصص أطفال :

- (شارلى) ومصنع الشيكولاتة .
- (شارلى) والمصعد الزجاجى العظيم .
- (دانى) البطل العالمى .
- التمساح العملاق .
- علاج جورج المذهل .
- الأقزام .
- ماتلدا .
- الساحرات .



روايات :

- عمّى (أوزوالد) .
- أحيانًا أبدًا .

أشعار :

- أشعار ثائرة .
- وحوش قذرة .

قصص قصيرة :

- آه يا سرّ الحياة الحلو !
- أفضل ما كتب (روآلد دال) .
- قصص غير متوقعة .
- قبلة .. قبلة .
- حمل للمذبح وقصص أخرى .
- حافلة (روآلد دال) .
- قصص مختارة .
- شخص مثلك .
- خرافتان .

(ويليام) و (مارى)

حينما توفى (ويليام بيرل) ، لم يترك الكثير .. وباستثناء بعض الهبات لأقاربه .. فقد ترك كل شىء لزوجته ..

وبعد انتهاء الجنازة بأسبوع ، اتجهت الأرملة إلى مكتب منفذ الوصية الذى ناولها مظروفًا مختومًا ، وقال لها :

ـ « طلب منى أن أعطيك هذا .. لقد أرسله زوجك لنا قبل الوفاة ، ويبدو لى أن هذا شخصى ، ولربما أردت قراءته على انفراد .. »

أخذت منه المظروف واتجهت إلى الشارع ..

تحسست الخطاب فوجدت أنه خطاب رسمى .. بالتأكيد هو خطاب رسمى .. تعرف هذا من سمكه وصلابته .. من المحتم أن يكون كذلك لأن (ويليام) لم يفعل شيئًا غير رسمى طيلة حياته ..

« عزيزتى (مارى) :

أرجو ألا يزعجك كثيرًا رحيلى عن هذا العالم ، لكن يجب أن تتذكرى دومًا أن تكونى معتزة بكرامتك وذات كبرياء .. إلخ .. »

هذا خطاب تقليدى من (ويليام) .. أيكون قد ضعف فى آخر الخطاب وكتب لها شيئًا رومانسيًا جميلاً ؟ ربما بعض الشكر على ثلاثين عامًا من حياتها كوت فيها مليون قميص ، وطهت مليون وجبة ، ورتبت مليون فراش ..

قررت أن تنتظر حتى تصل إلى المنزل لتبحث عن هذه السطور التى تحتاج إليها ..

وفى المنزل اتجهت إلى غرفة المعيشة ، وجلست على الأريكة ، وفتحت المظروف ، وأخرجت ما به ..

كان به نحو خمسين ورقة مثبتة بمشبك ورق .. كلها كتبت بخط دقيق صارم .. لهذا توجست خيفة ..

أشعلت لفافة تبغ .. ثم وضعتها فى المطفأة ، وقالت لنفسها : أنا لا أستطيع قراءة هذا الخطاب ..

لكن هل بوسع المرء ألا يقرأ خطابًا من ميت ؟

ربما نعم ..

نظرت إلى مقعد (ويليام) الأثير فى طرف الحجرة ، المقعد الجلدى الذى يتوسطه انخفاض صنعه ردفا (ويليام) عبر الأعوام ، وثمة بقعة سوداء على الظهر حيث كان رأس (ويليام) يستريح ..

كانت دومًا تجلس أمامه تحوك الثياب ، بينما زوجان من العيون يرمقانها من فوق الكتاب .. كانت عيناه زرقاوين باردتين ترمقانها طيلة حياتها .. حتى وهى وحيدة ..

أخرجت عويناتها من الحقيبة ، وبدأت تقرأ :

- « هذه الرسالة منى لك يا عزيزتى ، ولسوف تُعطى لك بعد وفاتى .. لا تخافى من منظرها ، فليست سوى

محاولة لشرح ما فعله (لاندى) لى .. ولماذا قبلت أن يفعله ..

« فى الأيام الماضية حاولت كثيرًا أن أحدثك عن (لاندى) ، لكنك رفضت بعناد أن تسمعى لى ، وهو موقف ينبع من الجهل ، ولو عرفت كل الحقائق لغيرت فى الغالب وجهة نظرك ، وهذا هو السبب الذى جعلنى أكتب هذه الصفحات ..

« أعتقد أنه حين تفرغين من هذه السطور سيبدأ الحماس ينتابك ، ولربما تفاخرت بما قام به زوجك ..

« إن بى رغبة قوية فى أن أكتب عنك ، وكم كنت زوجةً مخلصة عبر السنين .. أرغب فى الحديث عن أيام دراستى فى (أوكسفورد) حيث عشت وتعلمت وعلمت .. أتكلم عن حدائق (وورشستر) وبوابة (بنبروك) ، لكن وقتى ضيق ويجب أن أتكلم الآن ..

« إن تفاصيل مرضى معروفة لك حتمًا ، فلن أضيع وقتك .. كنت أحمق حين لم أذهب مبكرًا للطبيب .. إن السرطان من الأمراض المعدودة التى لا تقدر

العقاقير الحديثة على شفائها .. لكن الجراح لا يستطيع العمل فى حالة كحالتى ، حيث امتدَ السرطان إلى البنكرياس ، وصارت الحياة والجراحة مستحيلتين ..

« عرفت أنه لم يبق أمامى فى الحياة سوى ستة أشهر ، حين ظهر (لاندى) فى أحد أيام الثلاثاء من ستة أسابيع ..

« لم يدخل على أطراف أصابعه مرتبكًا لا يدرى ما يقول ، كما يفعل كل زوارى ، بل دخل بثبات مبتسمًا وقال وعيناه تلمعان :

ـ « (ويليام) يا بنى .. أنت من أريد ! »

« يجب أن أقول هنا إنه لم يزر دارنا قط ، وأعتقد أنك لا تعرفينه لكن كان صديقى منذ تسعة أعوام ..

« إننى مدرس فلسفة .. لكنى بدأت أهتم بعلم النفس ، وكان هو جراحًا للأعصاب .. ربما من أفضلهم .. وقد برع فى استئصال الفصّ الجبهى للمرضى السايكوباثيين ، وانعقدت بيننا علاقة حميمة ..

« قال لى وهو يجذب مقعدًا ليجلس قرب الفراش :

ـ « خلال أسابيع ستموت .. أهذا صحيح ؟ »

« لم يبدُ لى نوع من الغلظة فى سؤاله .. بشكل ما سررت بهذا الزائر الشجاع الذى لا يخشى الدنو من موضوع محرَم كهذا :

ـ « ستموت .. ثم يأخذونك ويحرقونك .. »

قلت له :

ـ « أرغب فى أن أدفن .. »

ـ « بعد ما تموت أتمنى أن تقبل الاقتراح الذى أقدمه لك .. »

« كان يتأملنى فى نهم كأن قطعة من اللحم البقرى على منضدة الجزار ، وهو قد اشتراها وينتظر من يلفها له ..

ـ « أنا جادّ يا (ويليام) .. ها هو ذا الموضوع .. لقد عملت لبضع سنوات مع زميلين فى تجربة شائقة ، ويمكن الآن أن أقول إن البدء مع البشر صار ممكنًا .. »

« وانحنى ووضع يديه على حافة الفراش .. كان وسيمًا ليست له نظرات الأطباء المعتادة .. أنت تعرف هذه النظرات فى عيونهم كأنما إشارة بالنيون تقول : أنا الوحيد الذى يستطيع إنقاذك ..

« لكن عينى (لاندى) كانتا واسعتين لامعتين كلهما حماس ..

« قال لى :

ـ « من فترة رأيت فيلمًا روسيًا طبيًا .. لقد كان فيه رأس كلب مقطوع ظل الدم يسرى فيه عبر الشرايين بوساطة قلب صناعي كان رأس الكلب موضوعًا فى صينية لكنه ظلَّ حيًا ، وكانوا يقربون منه الطعام فيتدلى لسانه اشتهاءً ، وكانت العينان تتبعان الشخص عبر الغرفة .. بهذا نستنتج أن الرأس والمخ لا يحتاجان إلى الجسد ليظلا حيين .. ما دام هناك ما يكفيهما من (الأكسجين) .. والفكرة التى خطرت لى هى انتزاع مخك بعد موتك ليعمل فترة لا بأس بها من السنوات .. »

ـ « أنا لا أحب هذا الكلام .. »

ـ « دعنى أستكمل كلامى .. إن المخ يستطيع الحفاظ على نفسه فهو لا يحتاج إلى جذع أو أطراف أو حتى جمجمة ، ما دام ينال ما يلزمه من أوكسجين .. فكر فى مخك الآن يا (ويليام) .. إنه مفعم بالخبرات والعلم ، وقد احتجت إلى أعوام كى تجعله ما هو عليه ، وقد بدأ يعطى أفكارًا أصيلة ، لكنه الآن يجب أن يموت مع جسدك لمجرد بنكرياس سخيف أصيب بالسرطان .. »

ـ « إنها فكرة منفرة .. وحتى لو نجحت فماذا ستفيده من إبقاء مخى حيًا بينما لا يسمع ولا يرى ولا يشم ولا يتكلم ؟ »

ـ « أعتقد أننا نستطيع التعامل معك وقتها .. هلم يا (ويليام) ! ما من فيلسوف حقيقى يأبى أن يعير جسده لأغراض العلم .. خذ لفافة تبغ وناقشنى بالمنطق .. »

ـ « لا .. أنا لا أدخن كما تعلم .. »

أخذ لفافة لنفسه ، وأشعلها بقداحة فضية ، وقال :

ـ « عند لحظة الموت سأكون دانيًا ، ولسوف أتدخل فورًا كى أبقى مخك حيًا .. أنت تعرف أنه حين يتوقف القلب ويحرم المخ من الدم الطازج والأوكسجين ، تموت أنسجته سريعًا .. أتركه أربع دقائق ولسوف يغدو عديم الفائدة .. لذا يجب أن أعمل سريعًا لأمنع هذا ، وبمعونة قلب صناعى متقن الصنع يماثل ما ابتكره (ألكسيس كاريل) فى (لندبرج) .. سيقوم بأكسجة دمك وضخه فى الشرايين نحو المخ .. هل تعرف شيئًا عن الإمداد الوعائى للمخ ؟ إن الدماء تدخل المخ عن طريق الشريان السباتى الداخلى والشرايين

الفقارية ، بينما تغادره عبر الوريد الودجى الداخلى.. أى أن لدينا أربعة شرايين ووريدين .. كلَّ ما علىَّ لحظة الوفاة هو أن أوصل الشرايين والأوردة بأجزاء القلب الصناعى ، وسرعان ما ينتعش مخك ويستعيد قدراته .. »

« كان (لاندى) متحمسًا حتى إنه لم يتصوَّر لحظة أننى لا أشاركه كل هذا الحماس .. وواصل كلامه :

- « الآن لدينا كل الوقت الذى نريده .. سننقلك إلى غرفة الجراحة مربوطًا بالقلب الصناعى.. الخطوة التالية هى انتزاع مخك سالمًا من جسدك الميت .. إن جسدك عديم القيمة الآن .. بالواقع هو آخذ فى التحلل .. سآخذ منشارًا ترددياً وأنشر قبَّة الجمجمة .. طبعًا لن أستعمل مخدرًا لأنك ميت .. »

- « لا أحد ينشر جمجمتى بمنشار ترددى دون مخدر ! »

هزّ كتفيه ، وقال :

- « لا مشكلة عندى .. سأستعمل بعض (الليدوكاين) لو كان هذا يشعرك ببعض السعادة .. »

- « شكرًا .. »

- « بعد هذا سأنتزع قبة الجمجمة كلها لأعرى الجزء العلوى من مخك.. ربما تعرف أو لا تعرف أن هناك ثلاثة

أغشية تحيط بالمخ ، وهى من الخارج للداخل (الأم الجافية) .. (العنكبوتية) .. (الأم الحانية) .. بينما يسرى السائل النخاعى الشوكى بين الغشاءين الداخليين فيما يسمى بـ (التجويف العنكبوتى) ، وكما قلت من قبل المخ هو ما يصنع هذا السائل .. سأترك الأوردة كلها سليمة وكذا الأغشية ..

« الآن تجىء الخطوة العسيرة : أن أخرج المخ كله سالمًا نظيفًا .. إنها عملية معقدة تتضمن تحطيم كثير من العظام وانتزاع كثير من الأعصاب .. سأقشر جمجمتك كالبرتقالة .. توجد صعوبات فنية لكنى سأتغلب عليها ببعض المهارة الجراحية والصبر .. ولدىَّ كثير من الوقت كما تعلم لأن القلب الصناعى معى ..

« بعد انتزاع المخ أقطع الحبل الشوكى فوق الفقرة العنقية الأولى ، وأغلق الفتحة التى يخرج منها الحبل الشوكى ..

« الآن تأتى الخطوة الأخيرة .. يوجد جوارى حوض ملىء بمحلول (رنجر) .. سأحمل مخك بيدى وأضعه فى الحوض وأوصله بالقلب الصناعى من جديد .. وهأنتذا فى الحوض تملك كل أفكارك وذاكرتك .. »

ـ « لكنى لن أرى أو أسمع أو أشمّ أو أتكلم .. »

ـ « لا .. نسيت شيئًا مهمًّا .. سأترك لك عينًا مع العصب البصرى الخاص بها .. إن العصب البصرى طوله حوالى بوصتين .. إنه ليس عصبًا بل هو جزء خاص من المخ ، ولسوف أبقى واحدًا لك .. وهكذا ستطفو العين على سطح سائل (رنجر) .. »

ـ « ستظل تحملق فى السقف .. »

ـ « أعتقد هذا للأسف .. لن تكون هناك عضلات لتحريكها ، لكنك ستكون مستريحًا ترمق ما حولك فى استرخاء .. »

قلت له :

ـ « لم لا تترك لى أذنًا أصغى بها إلى (باخ) ؟ »

ـ « أنت لا تفهم صعوبة انتزاع (القوقعة) المسئولة عن السمع وربطها بكل هذا .. ليس بوسعى انتزاع كل شىء سليمًا .. »

ـ « ولن يكون بوسعى الكلام .. فكيف تعرفون أننى واع ؟ وما قيمة التجربة أصلاً ! »

ـ « سيسهل علينا استخدام رسّام المخ الكهربائى لقياس انفعالاتك ومحاولة فهمها .. »

« كان يتكلم بطريقة توحى بثقته التامة من أننى موافق .. فسألته :

ـ « هل حقًّا تعتقد أننى سأحتفظ بذاكرتى ؟ »

ـ « لا يوجد سبب يمنع .. إنه المخ ذاته ، وهو حىّ لم يمسسه شىء .. ستعيش فى عالم نقى خارق حيث لن يضايقك شىء حتى الألم ذاته .. لا مخاوف ولا قلق ولا جوع ولا عطش ولا شهوات .. فقط أفكار .. يمكنك أن تقرأ بعض الكتب أيضًا ، وهى تجربة رائعة بالنسبة لدكتور فى الفلسفة ، ولسوف ترمق العالم منفصلاً عنه كما لم يفعل سواك قط .. حاول أن تفكر .. »

ـ « والإحباطات ؟ »

ـ لا إحباطات دون رغبات ، ولن تكون لديك رغبات.. »

ـ « وكم من الوقت تستطيع إبقاءه حيًّا ؟ »

ـ « مخك ؟ ربما مئات الأعوام .. إن كل عوامل التدهور لن توجد .. ضغط الدم ثابت .. الحرارة ثابتة .. تركيب دمك ثابت .. لا فيروسات ولا بكتريا ولا كولستيرول .. وداعًا الآن ولسوف أراك غدًا ! »

« وانصرف تاركًا إياى مزعزع التفكير ..

« كان أول ما شعرت به هو النفور من فكرة رهيبة مهينة مقززة .. أنا بكل قدراتى أتحول إلى عينة فى حوض ماء ..

« ثم انعدام الحيلة .. لا تراجع .. لا سبيل للاحتجاج أو الشرح .. ماذا لو لم أستطع التحمل ؟ ماذا لو كان الوضع أليمًا ؟ بلا قدمين أفرّ عليهما ولا صوت أصرخ به .. »

« سيكون علىّ أن أصبر طيلة القرنين القادمين ..

« ظللت أفكر فى هذه الأشياء المفزعة ، ثم فجأة ـ عند منتصف النهار ـ بدأ مزاجى يتبدّل .. بدأت أرى الأمور فى ضوء آخر ..

« فكرة لا بأس بها أن عقلى ووعيى لن يزولا بعد أسابيع .. إن عقلى حساس واع ، به قدر هائل من العلم ، وما زال قادرًا على الخلق .. لكن جسدى جسد مريض مُنهك .. جسد يجب الخلاص منه ..

« قلت لنفسى :

ـ « بالله سأفعلها ! حين يجىء (لاندى) غدًا سأخبره ! »

« وبدأت أشعر بتحسن كبير ، مما أثار دهشة كل من يرانى ، وحاولت أن أفاتحك بالأمر .. لكنك نفرت ورفضت مجرد المناقشة ، وفررت من الغرفة ..

« لهذا كتبت هذه السطور لك .. لن أقول (وداعًا) لأن هناك فرصة واهية فى أن أراك ثانية لو نجح (لاندى) فى عمله ، وقد أمرت بألا ترى هذه الأوراق قبل أسبوع من رحيلى ..

والآن .. يمكنك معرفة النتيجة من (لاندى) ..

زوجك المخلص : ويليام

« ملحوظة : كونى طيبة وتذكرى أن من العسير أن تكونى أرملة مخلصة .. لا تدخنى ، ولا تبذرى المال ، ولا تأكلى الجاتوه ، ولا تصبغى شفتيك ، ولا تبتاعى جهاز تلفزيون .. أرجو أن ترفعى خط الهاتف لأننى لم أعد أحتاج إليه ..

* * *

فرغت (مارى) من قراءة الرسالة ، وقد التوت شفتاها وتجعدتا ، إن الأمر كله مريع .. مريع ..

تناولت من حقيبتها لفافة تبغ أشعلتها ، واستنشقت الدخان بعمق ، وأخرجت سحابة راحت ترمق عبرها جهاز التلفزيون الجديد اللامع الذى وضعته فوق منضدة (ويليام) ..

ماذا يقول (ويليام) لو رأى هذا المشهد ؟

لقد ضبطها مرة قبل وفاته وهى تدخن .. كانت فى المطبخ وقد رفعت صوت المذياع عاليًا ، وفجأة استدارت لتجده على باب المطبخ يرمقها والغضب يلتمع فى حدقتيه ..

ولمدة أربعة أسابيع بعدها لم يعطها مليمًا للبيت ، ولم يدر بالطبع أنها قد ادخرت ستة جنيهات فى علبة مسحوق الغسيل تحت حوض المطبخ ..

لم يكن موافقًا على تدخينها ، وبالمثل لم يوافق على إنجاب أطفال ، لهذا لم ترزق بطفل قط .. أين هو الآن ؟

إنه يتوقع منها أن تتصل بـ (لاندى) ، فهل عليها أن تفعل ؟

بالطبع لا ..

لكن بعد قليل تغلبت عليها حاسة الواجب ، فبحثت فى دليل الهاتف عن رقمه ، وطلبته وانتظرت حتى جاء صوته ..

جاءها صوت (لاندى) الهادئ غير العاطفى يقول :

ـ « أخيرًا .. أنا سعيد أنك اتصلت يا مسز (بيرل) .. أتساءل إن كان بوسعك المجىء إلى المستشفى لنتحدث .. لا بد أنك مشتاقة لمعرفة ما حدث .. »

لم ترد .. فاستطرد :

ـ « كل شىء سار كما ينبغى .. إنه ليس حيًّا فحسب ، بل هو واع ! والعين ترى لا شك فى هذا لأننا نرى تغيرات فى رسام المخ الكهربائى كلما وضعنا أمامها شيئًا .. إنه يقرأ الآن الجريدة .. »

ـ « أية جريدة ؟ »

ـ « (ديلى ميرور) .. فعناوينها كبيرة .. »

ـ « إنه يكره (ديلى ميرور) ويفضل (التايمز) .. »

ساد الصمت ، ثم قال فى حرج :

ـ « ليكن ، سنعطيه (التايمز) .. نحن سنفعل كل ما من شأنه أن يجعله سعيدًا .. أريد منك أن تجيئى لعله راغب فى رؤيتك .. »

فى النهاية قالت بصوت مرهق :

ـ « حسن .. أنا قادمة الآن .. »

وبعد نصف ساعة .. كانت فى المستشفى ..

قال لها (لاندى) ماشيًا بجوارها :

ـ « لن تحبى منظره فى البداية ، ولربما سبب لك صدمة .. »

فى فتور قالت :

ـ « أنا لم أتزوجه من أجل جمال منظره يا دكتور .. »

نظر لها فى دهشة .. حقًا يا لها من امرأة غريبة بوجهها الكئيب ! إن ملامحها كانت جميلة يومًا ، لكن قد ذهبت بها سنوات المعاناة الزوجية .. كان وجهها مرتخيًا كله متهدلاً مرهقًا ..

قال لها :

ـ « خذى راحتك .. إنه لن يسمعنا ولن يعرف أنك هنا حتى تقربى وجهك من عينه .. »

وفتح الباب فاستطاعت أن ترى حوضًا أبيض كبيرًا فوق منصة مرتفعة ، تخرج وتدخل إليه دستة من الخراطيم البلاستيكية ، وبعضها يتصل بآلة ذات هدير هى آلة القلب الصناعى ..

مدت عنقها لتتأمل السائل فى الحوض .. كان رائقًا صافيًا تسبح فوقه كرة بيضاء صغيرة ..

قال (لاندى) :

ـ « إنها العين اليمنى .. وعلى قدر علمى هى ترى جيدًا الآن .. »

قالت له :

ـ « ليس السقف بالشىء المسلى للنظر .. »

ـ « لا تقلقى .. نحن بسبيل إعداد برنامج تسلية كامل له .. دعينا ندنُ منه أكثر »

والآن .. تقف عند قمة الحوض ترمق المخ .. كان حجمه أكبر مما توقعت ، وقد امتلأ بالأخاديد والتعاريج على سطحه حتى بدا كثمرة عين الجمل .. ثمرة عين جمل عملاقة ..

لا صوت سوى نبضات القلب الصناعى المستمرة ، والخراطيم تمتلئ بالدماء ، وتفرغ بلا توقف ..

قال لها (لاندى) :

- « قولى له شيئًا لطيفًا .. لن يسمعك لكنه سيخمنه من وجهك وحركات شفتيك .. »

انحنت حتى صار وجهها دانيًا من العين ، وهمست :

- « هذا أنا يا عزيز .. أنا (مارى) .. كيف حالك ؟ »

كان غريبًا أن تخاطب عين زوجها بلا وجه ، لكنها شعرت أنها وجه حقيقى كامل ، وكانت حدقته واسعة سوداء ..

- « نحن نفعل كل شىء كى نرعاك يا حبيبى .. »

وخطر لها أن منظر العين لم يعد مألوفًا .. كانت ناعمة مريحة جميلة لم ترها قط ، وليست عين (ويليام) التى تخترقك وتنظر عبرك ، وتعرف ما تفكر فيه ..

قالت لنفسها : أعتقد أننى أفضله فى الوضع الحالى.. حقًا بوسعى أن أعيش مع الـ (ويليام) وأتعامل معه ..

وفكرت كم أن هذا جميل بلا سخرية ولا انتقادات ، ولا عينين ترمقانها من فوق الكتاب فى المساء .. لا قمصان تكوى ولا وجبات تطهى .. لا شىء سوى صوت الآلة المريح الذى لن يمنعها من سماع التلفزيون ..

قالت :

- « يا دكتور .. أعتقد أننى سأحبه بشدة .. إنه معدوم الحيلة صامت .. بل هو كطفل رضيع .. »

هزّ رأسه وراح يرمقها ، فقالت للحوض :

- « من الآن يا عزيزى ستعنى بك (مارى) بنفسها .. متى يمكننى أن آخذه للبيت يا دكتور ؟ »

- « أرجو المعذرة ؟ هل تمزحين ؟ »

استدارت ونظرت له مباشرة بعينين تلمعان ، وتساءلت :

- « هل لى أن أفهم لماذا ؟ »

- « لا يمكن نقله .. هذه تجربة علمية .. »

ـ « وهو زوجى يا دكتور كما تعرف .. »

بلل (لاندى) شفتيه وقال :

ـ « ثمة خطأ هنا .. أنت أرملة يا مسز (بيرل) ويجب أن تتقبلى هذه الحقيقة .. »

اتجهت إلى النافذة ، ومن حقيبتها أخرجت لفافة تبغ ، وقالت :

ـ « أنا أعنى ما أقول .. أريد أن أستعيده .. »

راقبها (لاندى) وهى تشعل لفافة التبغ .. ما لم يكن مخطئًا ، فإن هناك شيئًا شاذًا بصدد هذه المرأة .. كأنما هى مسرورة بوجود زوجها فى حوض ..

بماذا كان سيشعر لو كانت زوجته هى الموجودة فى الحوض ، وعينها عائمة على سطح السائل ؟ لم يحب الفكرة قط ..

قال لها :

ـ « هلا عدنا إلى غرفتى الآن ؟ »

كانت واقفة عند النافذة هادئة تنفث الدخان ، وإذ لحقت به انحنت على الحوض وقالت :

ـ « (مارى) راحلة الآن يا حبيبى .. لكن لا تقلق بصدد شىء .. سنعود إلى الدار حيث نعنى بك .. واسمع يا عزيزى ...... »

وهنا رفعت اللفافة لشفتيها فالتمعت العين للحظة ..

رأت الحدقة تضيق إلى ما يشبه رأس دبوس من الغضب المطلق ..

فى البدء لم تتحرك .. ظلت منحنية على الحوض ترمق العين ، ثم ببطء وتعمد أخذت نفسًا عميقًا من الدخان ثم .. ووووش ! خرج الدخان من أنفها فى سحابة رفيعة صنعت ضبابًا فوق مياه الحوض وفوق العين ..

لم ير (لاندى) هذا لأنه كان عند الباب وظهره لها ..

قالت (مارى) للحوض بنعومة :

ـ « لا تتضايق هكذا يا (ويليام) .. ليس من الخير أن تتضايق .. من الآن ستكون المدلل لدىَّ .. وستفعل ما تقول (مارى) لك .. »

- « مسز (بيرل) ! »

قالها (لاندى) قادمًا نحوها .. لكنها واصلت الكلام مع الحوض :

- « لا تكن ولدًا شقيًا يا غالى .. الأولاد الأشقياء يعاقبون بغلظة هذه الأيام .. »

كان (لاندى) يقتادها برفق خارج الحجرة ، وقال لها :

- « هذا كاف يا مسز (بيرل) .. »

صاحت وعيناها تلتمعان :

- « أليس لذيذًا ؟ أليس ممتعًا ؟ لا أستطيع الانتظار حتى أصحبه معى إلى البيت ! »

* * *





إدوارد الفاتح ..

أمسكت (لويزا) بمنشفة الأطباق في يدها ، وخرجت من المطبخ إلى شمس أكتوبر الباردة في الحديقة ، ونادت :

ـ « (إدواااارد) ! الغداء جاهز .. »

وتوقفت لحظة تصغى ، ثم اتجهت إلى حوض الورد حيث كان زوجها يعمل .. مرت تحت أشجار التوت حتى صارت على بعد ثمانين ياردة منه .. الآن ترى زوجها .. الرجل النحيل الطويل يرتدى سترته الخضراء ، وبشوكة كبيرة فى يده يلقى بالأوراق الجافة فى النار .. النيران البرتقالية تتأجج والدخان الأبيض يتصاعد منها ..

دنت منه أكثر وصاحت :

ـ « الغداء ! »

ـ « آه ! حسن .. حسن .. لقد نسيت .. لقد أوشكت على تنظيف هذا المكان ، فقد سئمت كل تلك الأوراق الجافة .. »

كان العرق يغمر وجهه ويسيل على عنقه ، فقالت :

ـ « لا تجهد نفسك أكثر من اللازم .. »

ـ « أنا لست فى الثمانين يا حبيبتى .. بعض التمرين لن يؤذينى .. »

ـ « نعم يا عزيزى .. لكن .. انظر ! »

نظر حيث أشارت ، فرأى جوار النار قطًا توشك الألسنة على لمسه .. كان قطًا جالسًا على الأرض ، صامتًا ، ضخمًا له لون غريب .. وثمة نوع من الاشمئزاز فى الطريقة التى يرمقهما بها ..

صاحت (لويزا) :

ـ « سيحترق ! »

وألقت بالمنشفة ، وحملت القط بيديها بعيدًا عن النار :

ـ « أيها المجنون ! ما خطبك ؟ »

ـ « القطط كلها تعرف ما تفعله .. لن تجدى قطًا يفعل شيئًا لا يروق له .. ليست القطط .. »

ـ « يا للوَنه الغريب ! إننى لا أعرف قطَ مَنْ هذا .. »

كان لونه رماديًا فضيًا غريبًا بحق ، وشعره طويلاً حريريًا متهدلاً ..

وعاد الزوجان نحو المنزل ، فراح القط يمشى وراءهما ، ثم تقدم الطريق ، ودخل من الباب معهما .. صاح الزوج :

ـ « عُد من حيث جئت ! لا نريدك هنا .. »

لكن القط لم يبال وكذلك الزوجة .. قدمت له بعض اللبن ، ثم أعدَت الغداء فصعد القط إلى مقعد ، وجلس ورأسه فوق مستوى المائدة بالضبط يرقب كل شىء بعينين صفراوين تتنقلان بين الرجل وزوجته ..

قال (إدوارد) :

ـ « أنا لا أحبَ هذا القط .. »

ـ « أعتقد أنه لطيف .. ليته يبقى قليلاً .. »

وبعد الغداء عاد (إدوارد) إلى العمل بالحديقة ، فيما اتجهت (لويزا) إلى البيانو .. كانت عازفة بارعة تعشق الموسيقا ، وعصر كل يوم كانت تمضى ساعة تعزف لنفسها ..

أما القط فجلس على الأريكة ينظر لها .. وداعبت فراءه ملاطفة ، لكن أصابعها لامست نتوءًا ما فوق عينه اليمنى ..

ـ « يا لك من قط مسكين ! لديك نتوءات فى وجهك الجميل .. »

وجلست إلى البيانو .. كانت من متعها الصغيرة الدائمة أن تتخيل نفسها فى (الكونسير) وأن هناك برنامجًا تم إعداده بدقة ، تعزف هى على أساسه ..

اعتادت أن تتخيل وجود جمهور حولها .. ترى صفوفًا من المقاعد وبحرًا من الوجوه التى تتابعها باهتمام وتركيز ..

قررت أن يكون برنامج اليوم مبتدئًا بـ (باخ) أو (فيفالدى) .. ثم بعض (شومان) ـ مقطوعة (كرنفال) ـ بعد هذا لمسة من (ليست) ـ ربما واحدة من سوناتات (بترارك) ـ ثم (شومان) وبعدها تنهى بـ (برامز) ..

(فيفالدى) ـ (شومان) ـ (ليست) ـ (شومان) ـ (برامز) .. إن برنامج اليوم مشبع حقًا ..

انتظرت حتى أخرج آخر الجمهور سعلته من صدره ، ثم بعظمة بدأت تعزف ..

فجأة ما إن بدأت أولى نغمات (فيفالدى) ، حتى شعرت بحركة غير عادية من القط على الأريكة ، فتساءلت :

ـ « ماذا هناك ؟ »

إن الحيوان الذى كان نائمًا على الأريكة ، قد صار الآن يقظًا متشنج الجسد يصغى لعزفها باهتمام .. إنه لم يبد خوفًا بل ما هو أقرب إلى الشوق .. ثمة تعبير غريب على وجهه ..

واصلت العزف وهى ترمق الحماس العجيب .. الرأس المائل إلى الجانب .. كان بوسعها أن تقسم أن الحيوان يتذوق العمل ..

أنهت المقطوعة ، ثم بدأت فى عزف (شومان) .. شعرت بنوع من الهلع وهى ترقب تعبيرات القط شبه الإنسانية ..

ـ « هل تحب (شومان) ؟ »

سألته شاعرة بأنها سخيفة ، ثم واصلت العزف .. كان مشهدًا غريبًا مضحكًا أن ترى هذا القط يحلم فى سموات الموسيقا ، والأدهى أن هذه المقطوعة كانت كلاسيكية صعبة جدًا لا يتذوقها الكثيرون ..

ربما هو نوع من التنويم كما يحدث مع الأفاعى .. إذا كان بوسعك أن تسحر أفعى بالموسيقا فلم لا يمكن هذا مع القط ؟!

حين انتهت ، قررت أن تبدأ مقطوعة (ليست) فورًا قبل أن تفقد انتباهه .. سوناتا (بترارك) الثانية .. هنا حدث شىء غريب ..

لم تعزف أكثر من أربع نغمات حين بدأ شارباه يهتزان ، ووثب إلى الأرض ، ثم صعد إلى مقعد البيانو جوارها ، وراح باهتمام يصغى إلى السوناتا ..

ـ « حسن .. أنت تحب (ليست) أكثر من سواه .. »

ومسحت على ظهره ، وقالت :

ـ « أحيانًا يكون سوقيًا بشكل مخيف .. لكن هذه المقطوعة ساحرة .. »

كانت قد بدأت تحب الأداء الحركى الطريف لهذا الحيوان .. وما إن بدأت تعزف (كينـدر سينين) لـ (شومان) حتى وثب القط إلى الأرض ، وعاد إلى الأريكة فى شىء من خيبة الأمل ..

قالت له :

ـ « سأعدل برنامجى من أجلك .. يبدو أنك تحب (ليست) لذا سأقدم لك مقطوعة أخرى ..

وقررت أن تعزف (فايناختس باوم) ، وراحت ترمق القط حين بدأت العزف .. ومن جديد وجدت الحيوان ينهض ويرتجف .. ثم يثب إلى الأرض ليجلس على مقعد البيانو جوارها ..

هنا دخل (إدوارد) من الحديقة ..

صاحت فى حماس :

ـ « (إدوارد) .. تعال لترى هذا ! »

قال فى ملل :

ـ « ماذا هناك ؟ أريد بعض الشاى .. »

ـ « إنه القط .. لتسمع ما حدث .. إنه قط موسيقى .. يقدر الموسيقا ويفهمها .. »

ـ « دعينا من هذا الهراء ، ولنشرب بعض الشاى .. »

ـ « إن معجزة ما تحدث فى مسكننا .. »

وازداد وجهها الوردى توردًا ، واحمرَّ خدَّاها .. وقالت :

ـ « أعتقد أننا نجلس فى حضرة ..... »

وبعد هنيهة قالت :

ـ « ... (فرانتز ليست) نفسه ! »

أخرج دخان التبغ فى اتجاه السقف .. كان له خدّان غائران يدلّان على سنين طويلة مع طاقم الأسنان ، وقد جعل التدخين خديه يغوصان أكثر .. قال لها :

ـ « لا أفهم .. »

ـ « أصغ إلىّ .. إننى أشك فى حدوث تناسخ أرواح ! »

ـ « هذا القط القذر ؟ أنت مريضة يا (لويزا) .. »

حكت له القصة كلها بينما هو ينفث الدخان ، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة ، فلما انتهت قال لها :

ـ « لا يوجد شىء غريب فى هذا .. إنه قط لعوب يجيد بعض الحيل .. »

ـ « لا تكن سخيفًا .. لم يسمع أحد عن قط يجيد التمييز بين (شومان) و (ليست) .. أنت نفسك لا تعرف الفارق بينهما .. اسمع .. سأعزف له المزيد من موسيقا (ليست) ولسوف ترى .. »

ومن فوق الرفّ اختارت كتابًا لـ (ليست) ، وانتقت مقطوعة أخرى هى (سوناتا ب الصغرى) ..

فلما بدأت العزف راح القط يرتجف فى لهفة وشارباه يرتجفان ، وحين انتهت نظرت لزوجها مبتسمة ، فقال :

ـ « إنه يحب الضوضاء .. هذا كل شىء .. »

ـ « بل كان يحبّ ما أعزفه .. تصوّر هذا ؟! (ليست) فى دارنا .. لقد قابل (بتهوفن) فى شبابه ، وعرف (مندلسن) و (شومان) و(جريج) ، بل إنه كان زوج أم (فاجنر) ! إننى أحمل زوج أم (فاجنر) بين ذراعىّ الآن ! »

صاح فى حدّة :

ـ « (لويزا) .. تمالكى أعصابك ! »

ـ « لا تكن متذمرًا ساخرًا .. ربما كان خير ما تفعله هو العودة إلى الحديقة وتركنا فى سلام .. »

واحتضنت القط وقالت له :

ـ « فهمت لماذا تحب (شوبان) أيضًا .. إنه صديقك ، وفى شقتك قابلت الحب الأعظم فى حياتك .. هيا أيها الشقى ! لا تنكر هذا ! »

ـ « كفى عن هذا الهراء يا (لويزا) .. أنت تتصرفين كالمخابيل ! ولا تنسى أننا ذاهبان إلى (بيل) و(بيتى) الليلة .. »

ـ « لن أذهب ! »

نهض من مقعده ببطء ، ونفض التبغ عن ثيابه ، وقال :

ـ « أعتقد أنك يجب أن تجدى طبيبًا ، وليكن ذلك بسرعة ! »

انتظرت حتى خرج من الغرفة ، ثم هرعت إلى الباب الأمامى حاملة القط ، وسرعان ما كانت فى سيارتها متجهة إلى المدينة .. أمام المكتبة توقفت وتركته فى السيارة ، وداخل البناية راحت تقرأ باحثة عن مصطلحين هما (تناسخ الأرواح) و (فرانتز ليست) ..

وجدت عن الموضوع الأول كتابًا كتبه من يُدعى (ميلتون ويليس) ، ووجدت عن الموضوع الثانى كتابين ..

استعارت الكتب الثلاثة وعادت إلى السيارة ..

وفى دارها راحت تطالع الكتب فى نهم .. وجدت فى اسم (ميلتون ويليس) رنينًا قويًا يوحى بأنه حجة فى موضوعه ..

قرأت أن الأرواح تنتقل من نماذج أدنى إلى نماذج أعلى من الحياة ، فلم يحدث قط أن انتقلت روح إنسان إلى حيوان ، بينما العكس يحدث .. وسلبها هذا كثيرًا من حماسها الأول ..

كيف يمكنه أن يعرف ؟ وكيف يتأكد ؟

وجدت قائمة بمتوسط الفترة التى تحتاج إليها الروح حتى تجد جسدًا آخر تسكنه ..

العاطلون والسكارى	٤٠ – ٥٠	سنة .
العمال	٦٠ – ١٠٠	سنة .
العمال الماهرون	١٠٠ – ٢٠٠	سنة .
البرجوازيون	٢٠٠ – ٣٠٠	سنة .
طبقة ملاك الأراضى	٦٠٠ – ١٠٠٠	سنة .
المبدعون	١٥٠٠ – ٢٠٠٠	سنة .

تحققت من تاريخ وفاة (ليسـت) ، فوجدت أنه 1886 .. أى أن سبعًا وستين سنة مرَت منذ وفاته ، وهو ما ينطبق على العمال غير الماهرين ! ثم منذ متى كان ملاك الأراضى هم أرقى طبقة بشريةً ؟

معنى هذا ببساطة أن (ويليس) يكتفى بالتخمين .. إن الكتاب مخيب للآمال دون شك ..

تركت الكتاب وراحت تتفقد الكتابين الآخرين ، حين دخل (إدوارد) وسألها عما تفعل ، فقالت :

ـ « هل تعلم أن (تيودور روزفلت) الرئيس الأمريكى كان زوجة القيصر ذات مرة ؟! »

ـ « لماذا لا تكفين عن هذا الهراء ؟ كفاك جعل نفسك بلهاء .. »

راحت تحملق فى صور (ليست) ، ثم صاحت :

ـ « يا إلهى ! انظر إلى النتوءات على وجهه ! إنها ذات النتوءات على وجه القط ! أليس هذا مسليًا ؟ »

وضع الزوج يديه فى جيبيه ولفافة التبغ فى فمه ، وراح يصغى فى غيظ .. ثم قال :

ـ « ألن تكفى عن الهستيريا يا (لويزا) ؟ »

صاحت فى حماس :

ـ « تصوَر (فرانتز ليست) فى دارنا .. معنا للأبد ! »

ـ « أستميحك عذرًا ؟! »

ـ « كل موسيقار فى العالم سيتمنى لو يلقاه وجهًا لوجه .. سيلمسونه ويعزفون أمامه ، وما سأفعله هو أن أخبر كل مؤلفى الموسيقا فى أرجاء المعمورة بالأمر .. سيأتون من كل صوب وحدب .. »

ـ « أمن أجل قط رمادى ؟ »

ـ « بل من أجله (هو) .. لا أحد يبالى بشكله .. »

راح يرمق الحديقة فى ضوء المساء ، حيث تتألق نيران الخلاء التى أشعلها ..

قال دون أن يلتفت لها :

ـ « سوف أتخلص من هذا القط قبل أن يجعلنا معتوهين .. »

ـ « ماذا تعنى ؟ »

- « أنا أمنعك قطعيًا من إذاعة شىء أحمق كهذا .. هل تفهمين ؟ »

وضعت القط على الأريكة ، وتقدمت خطوة نحوه وصاحت وهى تضرب الأرض بقدمها :

- « تبًا لك يا (إدوارد) !! هذا أول شىء مثير يدخل حياتنا وأنت تخشى التعامل معه لأن أحدًا قد يسخر منك .. »

- « (لويزا) .. هذا كاف .. تماسكى ! »

جرت الدموع على خديها ، فدنا منها وأمسك بكتفيها فى حزم وقال :

- « اسمعى .. أنا جائع .. لقد عملت طيلة اليوم فى الحديقة ، وأريد بعض العشاء .. ستذهبين إلى المطبخ وتحضرين ما نأكله .. »

تراجعت إلى الوراء .. وغطت فمها بيدها وصاحت :

- « يا للسماء ! لقد نسيت هذا .. لابد أنه يموت جوعًا ، وأنا لم أقدم له منذ جاء سوى بعض اللبن ! »

- « من ؟ »

- « (ليست) طبعًا ! يجب أن أطهو له شيئًا خاصًا .. لن أتأخر .. »

وهرعت إلى المطبخ ، ووقفت بين الأطباق تفكر فيما تقدمه للقط ، ماذا عن (السوفليه) ؟ بالجبن ؟ سيكون ممتازًا .. إن (إدوارد) لا يحبه لكن لا أهمية لهذا ..

كانت طباخة متوسطة البراعة ، وكانت تخشى ألا يكون (السوفليه) جيدًا ، لذا راحت تعمل بدقة وعناية واستوثقت من حرارة الفرن ، وفيما راح (السوفليه) ينضج ، تذكرت أن (ليست) لم يذق فى حياته طعم الـ (جريب فروت) ..

لا بأس .. ستعد له سلطة من الـ (جريب فروت) ، ولسوف يسرها أن ترقب تعبيرات وجهه حين يذوقها ..

حملت الصينية إلى غرفة المعيشة ، فى نفس اللحظة التى رأت زوجها يدخل من النافذة المطلة على الحديقة .. قالت :

- « هذه وجبته .. ولكن .. أين هو ؟ »

أغلق النافذة خلفه ، فعادت تسأله :

ـ « (إدوارد) .. أين هو ؟ »

ـ « آه .. نعم .. سأقول لك .. »

وأشعل لفافة تبغ ، فرأت على سرواله آثار العشب الرطب .. قال :

ـ « ذهبت لأتأكد من أن نار الخلاء مشتعلة .. »

نظرت ليديه .. ورأى أنها لاحظت الخدش الكبير على ظهر يده :

ـ « (إدوارد) ! »

ـ « إن هذه الأوراق والأغصان الجافة مرعبة .. إنها تمزقك إلى أشلاء .. »

ـ « (إدوارد) ! »

قال لها وهو يجلس :

ـ « بالله عليك يا امرأة اجلسي .. ليس هناك ما يدعو للقلق .. (لويزا) يجب أن تجلسي ! »

★ ★ ★

رحيق الملكات

رحيق الملكات ..

قالت مسز (تايلور) :

ـ « أنا قلقة حتى الموت يا (ألبرت) .. »

ونظرت إلى الطفلة الراقدة بلا حراك فوق ساعدها ، وأردفت :

ـ « كنت أعرف أن شيئًا ما خطأ .. »

كان جلد الطفلة مشدودًا فوق العظام كقشرة الكمثرى ، شاحبًا .. وقال لها (ألبرت) :

ـ « حاولى ثانية يا (مابل) .. »

أخرجت الزجاجة من طبق الماء الساخن ، ووضعت على ساعدها قطرة من اللبن لتختبر درجة حرارته ، وهمست :

ـ « هلمى .. هلمى يا بنيتى .. خذى المزيد من هذا .. »

راقبها الزوج من فوق المجلة ، وكان بوسعه أن يرى أنها ميتة من الإرهاق ، وقد ملأ وجهها الجميل اليأس ..

قالت وهى ترفع الزجاجة فى الضوء :

ـ « كما ترى .. لم تذق سوى أوقية واحدة .. لن يكفى هذا كى يظل الجسد مع الروح .. هذا يقلقنى جدًا يا (ألبرت) .. »

ـ « أعرف .. »

ـ « لو عرفنا ما هو الشىء الخطأ .. »

ـ « لا خطأ .. د . (روبنسون) يقول إنها مسألة وقت لا أكثر .. »

ـ « لا تقل لى إنه من الطبيعى لطفلة سنها ستة أشهر أن تزن رطلين أقل من لحظة ولادتها ! انظر لهاتين القدمين .. لا شىء سوى عظام وجلد .. »

ـ « د. (روبنسون) يقول : لا تقلقى .. »

صرخت فى غيظ :

- « أنا أمقت الأطباء .. أمقتهم جميعًا ! »

وغادرت الغرفة حاملة الطفلة ، وبقى (ألبرت تايلور) وحيدًا حيث جلس .. بعد قليل سيسمع حركتها فى غرفة النوم ، ولسوف يدخل هناك ليجدها كما فى كل ليلة جوار المهد ، ترمق الطفلة وتبكى .. ولسوف يقول لها :

- « لا تخافى .. »

فتقول :

- « إنها تموت جوعًا يا (ألبرت) .. »

فى الأسبوع الماضى أخذا الطفلة إلى المستشفى ، وقال لهما الطبيب إنه لا يوجد شىء خطأ .. قالت له (مابل) :

- « لقد رزقنا بها بعد تسع سنوات يا دكتور ، ولسوف أموت لو حدث لها شىء .. »

ومنذ هذا الفحص فقدت الطفلة خمس أوقيات أخرى ..

تناول (ألبرت) إحدى مجلات النحل التى تعجّ بها مكتبته ..

كان طيلة حياته مجنونًا بالنحل ، وفى طفولته كان يمسك به بيدين عاريتين ويضعه على وجهه وخديه .. ومن الغريب أنه لم يُلدغ قط .. والأغرب أن النحل لم يحاول الفرار منه ..

قال أبوه إن هناك شيئًا سحريًا مؤذيًا فى جسد طفله ، يحذّر النحل ، أما الأم فقالت إن هذه هبة سماوية ، وشبهت ابنها بالقديس (فرانسيس) مع الطيور ..

كبر (ألبرت) وصار حبّه للنحل وسواسًا .. وفى سن الثانية عشرة صنع أول خلية نحل ، وبعد عامين امتلك أول سرب ..

وكان يمارس (النحالة) بلا دخان تبغ يطرد النحل ، وبلا قفازين ..

وفى سن الثامنة عشرة بدأ مشروعًا لخلايا النحل ، وبعد أحد عشر عامًا صار يملك مائتين وخمسين خلية نحل ، وتزوّج وكان زواجه موفقًا فيما عدا أنه احتاج إلى تسع سنوات كى يُرزق بطفل ..

واصل تصفح المجلة التى بين يديه ، فوجد مقالة عنوانها (آخر أخبار الغذاء الملكى) .. وكانت تقول :

ـ « ما حقيقة هذه المادة السحرية المسماة (غذاء الملكات) ؟ »

« إنه إفراز من أفواه النحل يطعم به اليرقات التى خرجت من البيض ، وهذا الإفراز يخرج بالذات من غُددَ المربيات ، بنفس الطريقة التى ينتج بها الثدى اللبن لدى الفقريات . وهى حقيقة مهمة جدًا ، لأنه ما من حشرة تقوم بعملية مماثلة ..

« يُعطى الغذاء الملكى مُركَزًا لكل يرقات النحل أول ثلاثة أيام بعد الفقس ، لكنه يستمر بالنسبة لليرقات التى ستصير ملكات ، بينما يتم تخفيفه بالعسل وحبوب اللقاح بالنسبة لليرقات التى ستتحول إلى شغالات أو مربيات ..

« إن غذاء الملكات وجبة عالية التغذية ، وبها فقط تزداد يرقة النحل فى الوزن ألفًا وخمسمائة مرة فى

خمسة أيام .. وبعبارة أقرب إلى فهمنا ، كأن طفلاً وزنه سبعة أرطال قد زاد وزنه إلى خمسة أطنان فى خمسة أيام ! »

توقف لدى قراءة هذه الجملة ، وأعادها على نفسه ، ثم هرع إلى غرفة النوم ، وصاح :

ـ « (مابل) ! لقد وجدت فكرة ممتازة للطفلة .. »

أنار الضوء الكهربى ، فوجدها راقدة على بطنها فوق الفراش وقد دفنت رأسها بين يديها .. كانت تبكى ..

اتجه إلى المهد حيث كانت الطفلة ، وسألها :

ـ « متى موعد الوجبة التالية ؟ »

ـ « فى الثانية صباحًا .. ثم السادسة صباحًا .. »

ـ « سأقوم بإطعامها وأتولى كل شىء لمدة اثنتى عشرة ساعة .. هلمى اذهبى لتنامى .. أنت على وشك الإصابة بانهيار عصبى .. سآخذ زجاجة اللبن والمنبه إلى غرفة أخرى ، ويمكنك أن تسترخى تمامًا وتنسى كل شىء .. »

بكت ثانية ، وهمست :

- « (ألبرت) .. أنا أحبك .. »

- « وأنا كذلك يا حبيبتى .. تصبحين على خير .. »

ولم تصح إلا فى العاشرة صباح اليوم التالى ، وقد صاحت وهى تهبط السلم وترتدى الروب :

- « يا إلهى ! أنا قد نمت اثنتى عشرة ساعة متواصلة ! هل كل شىء على ما يُرام ؟ ماذا حدث ؟ »

كان جالسًا يدخن الغليون ، ويقرأ الجريدة ، بينما الطفلة غافية على الأرض عند قدميه ..

قال الرجل وهو يضع الصحيفة جانبًا :

- « أطعمتها فى الثانية والسادسة والعاشرة صباحًا ، وقد أخذت أوقيتين فى كل وجبة .. لقد أنهيت آخر وجبة منذ دقائق ، وها هى ذى الزجاجة .. توجد أوقية باقية فقط .. فما هو رأيك ؟ »

- « رباه ! هذا رائع ! »

- « هل تبدو أكبر ؟ هل ازدادت سمنة ؟ »

- « يبدو كلامى غبيًا لكنى أشعر بهذا .. كيف فعلتها ؟ »

- « لنبق الأمر هكذا .. وسأطعمها أنا كل ليلة .. وتطعمينها أنت نهارًا .. إننى لم أساعدك قط بصددها ، وقد قررت أن أكون ذا عون لك .. »

- « هذا ليس عدلاً .. سأطعمها كما اعتدت .. »

- « على الأقل سأعدّ لها الرضعات بنفسى وأعقم الزجاجة .. »

- « لكنى لا أظن أن .... »

- « هلمى ! لا تبدلى حظنا الحسن .. كل ما عليك هو أن تأخذى الرضعة من المطبخ .. الرضعة التى أعدَها أنا .. »

- « إننى أحبك كلما عرفتك .. أنت رجل رائع .. »

وبعد الظهيرة نادته حيث كان يعمل فى المنحل ، وصاحت :

ـ « تعال لترى .. هل تتصور ؟ لقد انتهيت من وجبة الساعة الثانية وقد شربت الزجاجة كلها .. كل قطرة منها ! كم أنا سعيدة يا (ألبرت) .. »

وبرغم هذا كان هناك جو من التوتر حتى حان موعد رضعة الساعة السادسة .. لكن الطفلة أمسكت بحلمة (البيرونة) بقوة وراحت تمتص اللبن ، وخلال سبع دقائق أفرغت الزجاجة كلها فى جوفها ..

تناولا العشاء وجلسا فى غرفة المعيشة .. هى تحيك الثياب ووجهها متورد وعيناها تلمعان سعادة ، أما هو فراح يدخن الغليون ويقرأ ..

قالت له وقد تذكرت شيئًا :

ـ « ماذا كنت تريد قوله أمس حين دخلت غرفة النوم ؟ »

خفض المجلة ووضعها على حجره ، وبادلها نظرة طويلة ، ثم قال :

ـ « هل فعلت هذا ؟ لست متأكدًا .. »

ساد الصمت من جديد ، وأخيرًا قال وابتسامة على وجهه :

ـ « كما ترين أنا قد (شفيت) الطفلة .. »

ـ « نعم .. فأنت تجيد إعداد لبنها وخلطه .. »

ـ « سأخبرك سرًا .. ليس المهم كيف تعدين الوجبة ، بل المهم ما تضعين فيها .. هل تفهمين هذا ؟ »

توقفت عن الحياكة ، ونظرت له بحدة ، وقالت :

ـ « (ألبرت) .. لا تقل إنك تدسّ أشياء فى لبن الطفلة ! »

ـ « محتمل ! »

ـ « لا أصدق .. أنت لم تضع شيئًا فى هذا اللبن .. كلمنى بصدق .. هذا قد يكون خطرًا على طفلة وادعة هشة كهذه .. »

ـ « الإجابة هى نعم .. »

ـ « كيف جرؤت يا (ألبرت تايلور) ؟ »

وضع الغليون على المنضدة ، وسألها :

- « هل سمعت من قبل عن غذاء الملكات ؟ »

- « لا .. »

- « إنه سحر .. سحر خالص .. وأمس خطر لى أن أضع بعضه فى لبن الطفلة ! »

- « لا بد أنك مجنون ! »

- « غذاء الملكات يأتى من النحل ، وهو ثمين جدًا بحيث لا يستطيع كل شخص الحصول عليه .. أعتقد أن طفلتك نالت منه - فى آخر أربع رضعات - ما يفوق كل ما حصل عليه أى شخص فى التاريخ .. إنه باهظ الثمن ، يصل سعره فى (أمريكا) إلى خمسمائة دولار لكل رطل ؛ وهذا أغلى من الذهب كما تعلمين .. »

- « ولماذا لم يجربه أحد مع أطفاله ؟ »

- « قلت لك إنه غال جدًا .. وإن من يشتريه هى شركات كبيرة تمزجه بكثير جدًا من المراهم والأدهنة ، وتبيعه بأسعار فلكية ، على أساس أنه كريم لإزالة التجاعيد وما إلى ذلك .. إن لدىَّ ٢٥٠ خلية نحل هنا ، لو كرست منها مائة لتصنيع غذاء الملكات لكان للطفلة ما تريده .. »

وصمت قليلاً باحثًا عن بداية مناسبة ، وكان يعرف أن من العسير شرح شىء كهذا لإنسانة جاهلة تمامًا .. أخيرًا قال :

- « أنت تعرفين أن كل مستعمرة نحل لها ملكة واحدة .. الملكة تضع نوعين من البيض ؛ نوعًا ينتج الذكور ونوعًا ينتج الإناث .. الإناث يشملن العاملات والملكة .. لكن الملكة وحدها تملك أعضاء تناسلية بينما العاملات لا .. »

- « إن الملكة تضع بيضها فى تلك الفتحات المسدَّسة التى ترينها فى شمع العسل ، وخلال ثلاثة أيام تخرج يرقة من كل بيضة ، فسرعان ما تحتشد المربيات حول كل يرقة يطعمنها كالمجنونات .. إنهن يطعمنها بغذاء الملكات طبعًا .. »

« ماذا يحدث بعد هذا ؟ إن هذا الطعام مُغذٍ إلى حدٍ لا يُصدَق .. وسرعان ما تنمو اليرقة ألفًا وخمسمائة مرة ..

« الشىء المذهل هو أن هذا الغذاء هو الذى ينجح فى التفرقة ، ما بين ملكة تملك أعضاء تناسلية ،

وعاملات لا يملكنها .. لأن الملكة تربَت وهى يرقة على غذاء الملكات فترة أطول من أترابها .. بينما تربَت أترابها على خليط من العسل وحبوب اللقاح ..

« والغريب كذلك أن الفارق يظهر فى الأرجل أيضًا .. إن العاملات لهن سلال على أرجلهن يحملن فيها حبوب اللقاح ، بينما الملكة لا تملك شيئًا كهذا .. العاملات يعشن بضعة أشهر ، بينما الملكة تعيش أربعة إلى ستة أعوام .. »

واتجه إلى المكتبة وانتقى إحدى المجلات ؛ راح يقرأ منها بصوت عال :

ـ « هذه جريدة أمريكية مختصة بالنحل .. إنها تتحدث عن أبحاث الدكتور (فردريك بانتنج) فى (تورنتو) بحثًا عن سرّ غذاء الملكات ، وكيف قام بتحليله كيميائيًا(*) ..

(*) فردريك بانتنج : هو مكتشف الإنسولين ، ونال جائزة (نوبل) لهذا .

« وجدوا أنه يحوى (الفينول) و(الجليسرول) و(الدكستروز) و ٨٨ ٪ من الأحماض المجهولة .. هل تفهمين هذا ؟ ٨٨ ٪ من غذاء الملكات غامض لا يعرف سرَّه أحد حتى (بانتنج) العظيم ! »

كان (ألبرت) قصير القامة له عنق غليظ قصير ووجه مستدير ، وكان شعر ذقنه ناميًا بلون بنى مصفرّ .. الحق أنه كان غريب المنظر ، ولم تلحظ قط كم أنه شبيه بالنحلة إلى هذا الحدّ ..

لقد رأت النساء كثيرًا حين يكبرن فيصرن شبيهات بالخيول التى يركبنها .. ورأت مربى الطيور يتحولون إلى طيور آدمية بدورهم ، لكنها لم تدر قط أن (ألبرت) شبيه بالنحلة إلا الآن ..

وواصل الرجل الكلام :

ـ « فى عام 1919 جرّب (هايل) غذاء الملكات على فئران صغيرة ، وسرعان ما تطورت المبايض بشكل غير مسبوق لديها .. ووجد (بورديت) أن ذكر الفأر العقيم ينجب ذرية كبيرة بمجرد أن يتناول غذاء الملكات لمدة أسبوعين ..

« ثم جاء دور البشر : فى (المكسيك) عام 1953 عولج مرضى السكر والربو والنقرس بغذاء الملكات ، وكان هناك سمسار أسهم فى (مكسيكو سيتى) يعانى من صدفية شديدة جعلته بشعًا منفرًا .. هنا جربوا معه غذاء الملكات بمعدل قطرة فى كل وجبة لمدة أسبوعين ، شفى بعدهما تمامًا .. »

هنا صرخت الطفلة ، فهرعت مسز (تايلور) تحضرها .. إنها لم تعتد بعد سماع صراخ الطفل صحيح الجسد :

- « أسرع يا (ألبرت) وهات الزجاجة ! »

عاد من المطبخ ، وقد جلب معه زجاجة اللبن ، فوضعت رأس الطفلة عاليًا .. وقربت الحلمة المطاطية من فمها ، فسرعان ما راحت ترضع فى نهم ، وخلال دقائق كانت الزجاجة قد فرغت ..

صاحت مسز (تايلور) :

- « كم أنت فتاة بارعة ! »

وسحبت الزجاجة ، لكن الطفلة تمسكت بها .. وأخيرًا بعد جهد .. بلوب ! خرجت الحلمة من فمها ..

- « واء واء .. واء ! »

وضعت الطفلة على كتفها ، وراحت تضرب على ظهرها فتجشأت مرتين .. لبضع ثوان صمتت ثم بدأ الصراخ من جدديد ..

رفعتها على كتفيها .. أرقدتها فى حجرها على بطنها .. نقلتها من ذراعٍ لأخرى ، لكنها لم تتجشأ ثانية وازداد صراخها عنفًا ..

قال (ألبرت) باسمًا :

- « لا بأس .. هذه تمرينات للرئة .. »

واقترح بعد خمس دقائق من الصراخ ، أن تبدّل الكافولة ، لكن هذا لم يحدث فارقًا .. واء واء واء !

ابتسم بعصبيةً ، وقال :

- « هل تعرفين ؟ أحسبها ما زالت جوعى ترغب فى مزيد من اللبن .. »

- « لا أحسب هذا .. إن زيادة الأكل مؤذية كقلته .. »

لكنه نهض إلى المطبخ ، وعاد لها بزجاجة ملأى باللبن ، وقال :

ـ « ها هى ذى ثمانى أوقيات .. أعطيها الكمية التى ترغبينها .. »

وانغلقت شفتا الطفلة كالمصيدة حول الحلمة ، وارتخى جسدها وبدا عليها رضا تام ..

لاحظت مسز (تايلور) فى قلق أن مستوى اللبن فى الزجاجة يقل باستمرار .. لكنها لم تجرؤ على سحب الزجاجة ..

وأخيرًا فرغت الزجاجة ، ورقدت الطفلة فى سلام ترمقهما ، وعيناها تلمعان رضا ، وفمها نصف مفتوح ، وشفتاها ملوثتان باللبن ..

ظلت الأم ترمقها فى قلق ، واستعادت تلك النظرة المهمومة القديمة ثم قالت :

ـ « تعال هنا يا (ألبرت) .. »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « قلت تعال هنا .. »

جلس جوارها ، فقالت له :

ـ « احملها ! »

أمسك بالطفلة .. وهزّها بين كفيه ، وغمغم :

ـ « جميل جميل .. إنها تزن طنًا .. »

ـ « وهذا ما يفزعنى .. لقد حدث هذا بسرعة جدًا .. »

ـ « أنت غير مريحة .. كنت حزينة لنحولها ، والآن أنت خائفة لأنها تزداد فى الوزن .. ما بك يا (مابل) ؟ على كل حال يمكن أن نزنها لنرى .. سأجلب لك الميزان .. »

ومن المطبخ أحضر الميزان ، فيما نزعت هى ثياب الطفلة وأرقدتها عارية تمامًا على المنضدة .. صاح (ألبرت) :

ـ « إنها معجزة يا (مابل) ! إنها بدينة تمامًا ! »

كانت الطفلة قد ازدادت بدانة بشكل غريب .. وصدرها الضامر بارز الضلوع صار كالبرميل ، وبطنها بارزة فى الهواء ، لكن الذراعين والرجلين لم تنمُ بذات الدرجة ، حتى كأنها عصى رفيعة تخرج من كرة من الشحم ..

قال (ألبرت) :

- « انظرى ! لقد فازت ببعض شعيرات على بطنها للتدفئة ! »

ووضع يده على بطن الطفلة حيث كانت شعيرات صغيرة ذهبية بنية نمت هناك .. صرخت المرأة :

- « لا تلمسها ! »

وواجهته فبدت كطير كاسر يوشك على الوثب فى وجهه واقتلاع عينيه ، وصرخت :

- « أنت مجنون ! إنها تلك المادة الكريهة ! »

قال لها :

- « سأبرهن لك على أن هذه المادة مأمونة .. لماذا تظنين أن محصولنا من العسل انخفض للنصف فى الصيف الماضى ؟ السبب هو أننى كرست مائة خلية لإنتاج غذاء الملكات .. لقد تناولت منه ما يكفى لملء دلو كامل .. والآن أشعر بمشاعر رائعة ! »

راحت عينا المرأة الخائفتين ترمقان وجهه .. لم يكن جلد عنقه ولا ما تحت أذنيه ظاهرًا الآن .. كله مغطى بتلك الشعيرات الذهبية القصيرة ..

قال لها وهو يرمق الطفلة بحبٍ :

- « ولسوف يعمل غذاء الملكات مع الطفلة الرضيعة خيرًا من رجل اكتمل نموه مثلى .. فقط انظرى لها .. هل ترين ؟ »

انتقلت عيناها ببطء لأسفل واستقرتا على الطفلة .. كانت راقدة على المنضدة عارية .. بدينة بيضاء .. مثل يرقة أوشكت على إنهاء حياتها ، ولسوف تنطلق إلى العالم وقد اكتمل فكها وجناحاها ..

قال الرجل :

- « لم لا تغطينها يا (مابل) ؟ أنت لا ترضين لملكتنا الصغيرة أن تصاب بالبرد ! »

* * *

متعة الخوري

متعة الخورى ..

كان مستر (بيرجيس) يقود السيارة فى بطء ، وقد أزاح كوعه إلى حاجز النافذة الأيسر ، وقد استرخى بظهره إلى الوراء ..

ما أجمل الريف ! ما أجمل علامات الصيف الدانى ! ما أجمل زهور النرجس الأصفر على جانب الطريق ..

أفضل شىء الآن أن يصعد إلى قمة التلة حيث يرى القرية من عل .. قرية (بريل) التى هى حشد من الأكواخ بين الأشجار ..

وقف بعربته عند القمة ، ثم خرج منها ووقف يرمق الريف عند قدميه كسجادة خضراء كبيرة .. من هنا يمكنه أن يرى على بعد أميال ..

أخرج مفكرة وقلمًا من جيبه ، وراح يرسم المشهد الذى يراه .. ثمة بيوت ريفية ومنزل محاط بالأشجار .. رسم خارطة كروكية لكل شىء بحيث يعرف مكانه بسهولة حين يهبط من التل ..

عاد لعربته وهبط إلى القرية ..

هناك وجد أن لديه ستة احتمالات : خمسة بيوت ريفية ومنزل كبير .. تأمل المنزل جيدًا فوجد أنه نظيف بحديقة مهندمة ، لذا استبعده على الفور ..

كم الساعة ؟ إنها الثانية عشرة ظهرًا .. يمكنه البدء فورًا ..

أراح فرملة اليد ، وراح يهبط المرتفع دون محرك .. وبصرف النظر عن أنه كان متنكرًا فى هذه اللحظة فى ثياب رجال الدين الإكليركيين ؛ لم يكن هناك شىء غريب بصدد مستر (بيرجيس) ..

كان تاجر أنتيكات ، وله محل فى (شلسيا) .. ولم يكن ذا ثراء واسع ، لكن موهبته الأساسية تكمن فى أنه يشترى بسعر رخيص جدًا جدًا ، ويبيع بسعر باهظ جدًا .. لهذا كان يضمن دخلاً لا بأس به طيلة العام ..

كان رجلاً بارعًا ، ويعرف مزاج العميل بسهولة .. يمكنه أن يكون جذابًا جادًا مع المسنين ، راقيًا مع

الأثرياء ، مسيطرًا مع الضعفاء ، لعوبًا خبيثًا مع العوانس ، متفهمًا متعاطفًا مع الأرامل ..

وبلا حياء كان يستعمل مواهبه هذه ، وبصعوبة كان يمنع نفسه من أن يترك العميل وينحنى أمام تصفيق الجماهير ..

وبرغم هذا لم يكن أحمق .. كان يفهم كثيرًا فى العاديات ، وله ذوق جميل فى الأثاث ، وخبرة كبيرة فى الطرز والتصميمات ..

وبشكل خاص كان مهتمًا بمصممى القرن الثامن عشر العظماء : (شيبنديل) و (إنسون) و (روبرت آدم) و (شيراتون) ..

وفى الأعوام الماضية اشتهر بانتصاراته الكبيرة بين زملائه ، كأن لديه موردًا لا ينضب من الأثاث الثمين ، وكانوا يسألونه من أين جاء به فيغمز بعينه ويقول شيئًا عن سرّ صغير ..

كان قد مرّ بموقف معين فى يوم أحد منذ تسعة أعوام .. كان فى طريقه بالسيارة ، حين انقطع سير

المروحة وسخنت السيارة للغاية مما جعله يتوقف ، ويتجه لأقرب منزل طالبًا بعض الماء ..

كانت هناك امرأة دخلت لتحضر له ما يريد ، وإذ انتظرها وقعت عيناه على شىء جعل الانفعال يخنقه والعرق يغمر وجهه .. إن لدى المرأة أريكة من خشب البلوط لم ير مثلها قط فى حياته ، وثمة رأسا بطة محفوران على كل مسند منها .. أدرك أن هذه الأريكة تعود إلى القرن الخامس عشر ..

لم يكن متأكدًا .. لكن هذا المقعد يساوى أكثر من ألف جنيه فى (لندن) ، وحين عادت المرأة سألها عما إذا كانت ترغب فى بيع المقعد .. قالت : ربّاه ! لماذا أبيعه ؟ فقال إنه لا سبب على الإطلاق إلا الظفر بثمن مناسب .. وكم يعطيها ؟ خمسة وثلاثين جنيهًا .. كم ؟ خمسة وثلاثين جنيهًا ..

هتفت :

ـ « ربّاه ! كنت أعرف أن هذه المقاعد ثمينة .. إنها مريحة وقديمة .. كلا هى ليست للبيع ، لكن شكرًا على المعلومة .. »

أخبرها أن المقاعد ليست قديمة جدًا ، ولن تكون سهلة البيع ، لكن ربما استطاع أن يجد لها زبونًا ، ولهذا سيرفع الثمن جنيهين إلى سبعة وثلاثين جنيهًا ..

بعد نصف ساعة حصل على مقعدين ، وعاد إلى (لندن) بسيارته الـ (ستيشن) راضيًا .. وقال لنفسه :

ـ « لو كانت فى هذه البيوت الريفية أشياء رائعة كهذه ، فلم لا أبحث عنها ؟ لم لا أمشط الريف ؟ »

قرّر أن يفعل هذا أيام الآحاد ، وقسّم الريف حول (لندن) إلى مربعات ضلع كل منها خمسة أميال ، وراح يستكشف مربعًا فى كل مرة ..

المشكلة الأخرى هى أن أهل الريف كثيرو الشك ، ولن تستطيع أن تدق جرسهم وتتوقع أن يدخلوك المنزل لتتأمل أثاثهم ، لأنهم ببساطة لن يفعلوا ذلك .. إنهم يسمحون بالدخول للسباك أو عامل الهاتف أو رجل الدين لكن ليس لك ..

لهذا طبع عددًا من البطاقات كتب عليها :

المحترم (سيريل بيرجيس)
رئيس جمعية الحفاظ على الأثاث النادر

وفى كل أحد كان يتحول إلى خورى كنيسة ، لطيف عجوز ، يمضى أيامه مسافرًا من أجل خدمات المجتمع ، ويفتش عن الكنوز فى البيوت الريفية ..

ولدهشة مستر (بيرجيس) شعر بحرج من المودة التى يلقاها كرجل دين فى بيوت الفلاحين .. لا بد من فطيرة باردة وبعض الشاى وربما عشاء كامل مع الأسرة ..

إن تسع سنوات تعنى أكثر من أربعمائة يوم أحد ..

وهو ذا يوم منها فى مقاطعة (باكنجهام شاير) .. يوقف السيارة على بعد مائة ياردة من القرية ثم يترجل .. لأن خورى الكنيسة العجوز لا تناسبه أبدًا عربة (ستيشن) كبيرة كهذه ..

كان كبير البطن أحمر الوجه مستديره ، وعيناه تعطيانك انطباعًا بالسذاجة ، وكان يرتدى بذلة سوداء وياقة الخورى البيضاء حول عنقه ، وعلى رأسه قبعة سوداء ..

دق أول جرس فانفتح الباب ، وفوقه لا أمامه وقفت امرأة عملاقة ، وبرغم دخان تبغها فإن رائحة روث البهائم فى الاسطبل كانت أقوى ..

سألته :

- « ماذا تريد ؟ »

رفع قبعته وانحنى وناولها بطاقته ، فسألته من جديد :

- « ماذا تريد ؟ »

أمضى دقيقتين يشرح لها دوره ، حتى بدأت المرأة تبتسم مظهرة له حصيلتها من الأسنان الصفراء النخرة ..

أخيرًا ضربته على كتفه حتى كاد يفقد الوعى ، وصاحت :

- « لا أعلم بحق الجحيم ما تريد .. لكن تعال .. هلم .. »

ودخل وراءها .. ولدهشته لم يكن هناك شىء ذو قيمة فى المنزل ، لهذا شكرها وانصرف ، ولم تستغرق الزيارة أكثر من خمس عشرة دقيقة .. هذا هو المفترض ..

بعد هذا اتجه إلى منزل آخر صنع من خشب وقرميد ، وشجرة كمثرى تغطى جلّ الجدار الجنوبى ..

قرع الباب مرتين لكن أحدًا لم يأت .. دار حول المنزل بحثًا عن صاحب الدار فلم يجده ، قدّر أنه فى الكنيسة ، لذا راح يختلس النظر عبر النوافذ .. لم يكن شىء فى غرفة الطعام ولا غرفة المكتبة ..

لكن فى غرفة المعيشة رأى الشىء الجميل : مائدة للعب الورق من خشب (الماهوجنى) على طراز (هيبل وايت) تعود لعام 1870 ..

صاح وهو يلصق أنفه بالزجاج :

- « آه ه ه ! هذا رائع ! »

وجوارها كان مقعد من الطراز ذاته ، له ظهر منقوش ببراعة ..

قال مستر (بيرجيس) :

ـ « قبل أن ينتهى اليوم سأجلس على هذا المقعد الجميل .. »

كانت هذه عادته على سبيل الاختبار كلما اشترى مقعدًا ، وكان من الممتع أن تراه يجلس على المقعد برفق ، منتظرًا لحظة (التلاقى) ليعرف ما أحدثته السنون فى مفاصل المقعد ..

ـ « لكن لا داعى للعجلة..سأعود لك فيما بعد .. »

كانت المزرعة التالية وسط الحقول ، ولكى لا يرى أحد سيارته اضطر أن يتركها على الطريق ويمشى نحو ستمائة ياردة إلى خلفية المنزل ..

كان ثلاثة رجال يجلسون متلاصقين فى الركن ، وأحدهم معه كلبان سلوقيان أسودان ضخمان ، يمسكهما بمقود ..

حين رأوا مستر (بيرجيس) قادمًا بثيابه السوداء ، كفوا عن الكلام وتصلبوا بلا حراك ..

ونحوه استدارت ثلاثة وجوه ترمقه فى شك ..

كان أكبر الرجال سنًا رجلاً قصيرًا له فمُ ضفدع ، واسمه الذى لا يعرفه مستر (بيرجيس) هو (رامينس) ، وهو صاحب المزرعة ..

أما الشاب الواقف جواره ، والذى يبدو أن هناك عيبًا فى عينه اليمنى ، فهو (بيرت) ابن (رامينس) ..

أما الرجل القصير ذو الجبهة المجعدة فهو (كلود) .. كان (كلود) قد زار (رامينس) بغية الحصول على قطعة من اللحم .. إنه يعرف أن (رامينس) ذبح عجلاً أمس ، وهذا بدون إذن الحكومة طبعًا ..

وهذا قد يجلب المشاكل ما لم ..

قال (بيرجيس) :

ـ « مساء الخير .. أليس يومًا جميلاً ؟ »

لم يتحرك أحد الرجال الثلاثة .. كانوا يفكرون فى الشىء ذاته فى اللحظة ذاتها .. لا بد بشكل ما أن هذا الرجل آت من الحكومة كى يدس أنفه فى شئونهم ..

قال (بيرجيس) :

ـ « يا لها من كلاب جميلة ! لم أر كلابًا سلوقية كهذه من قبل .. »

ساد الصمت كالعادة ..

نظر بسرعة إلى كل وجه من وجوههم ، ولاحظ أن كلاً منهم يحمل على وجهه التعبير ذاته .. تعبيرًا هو ما بين التحدى والشك ..

سألهم :

ـ « هل لى أن أسأل عن المالك ؟ »

قال (رامينس) :

ـ « ماذا تريد ؟ »

ـ « أعتذر للإزعاج .. »

وقدم له بطاقته ، فلم يتحرك (رامينس) ، لكنه تابع بعينيه ما كتب عليها ..

ـ « وماذا تريد ؟ »

شرح له (بيرجيس) فكرة جمعية الحفاظ على الأثاث القديم ، فقال (رامينس) :

ـ « ليس لدينا .. أنت تبدد وقتك سدى .. »

قال مستر (بيرجيس) رافعًا إصبعه :

ـ « لحظة من فضلك .. آخر من قال لى هذا كان فلاحًا من (سوسكس) .. وحين دخلت منزله وجدت مقعدًا متسخًا فى المطبخ ، يساوى نحو أربعمائة جنيه ، وقد شرحت له كيف يبيعه وابتاع جرارًا جديدًا بثمنه ..»

قال (كلود) :

ـ « عم تتكلم ؟ لا يوجد مقعد يساوى أربعمائة جنيه .. »

ـ « أعذرنى .. هناك مقاعد تساوى ضعف هذا الثمن ، موجودة فى الأكواخ حيث يستعملها الفلاحون كسلالم

يصعدون عليها ، للوصول إلى مرطبان المربى الموجود على رفّ النملية .. »

سأله (رامينس) :

ـ « إذن ما تريد هو أن تدخل دارى وتنظر حولك ؟ »

ـ « نعم .. لا أريد أن أتلصص فى كل مكان .. فقط أريد أن أرى أثاثك بحثًا عن كنوز ، ثم أكتب للجمعية كى تنشر هذا فى مجلتها .. »

قال (رامينس) :

ـ « حسن .. لا توجد مشكلة فى أن تدخل وتنظر .. »

واقتاده إلى الباب الخلفى للمزرعة ، وتبعهما الآخران ..

كان المطبخ خاليًا إلا من منضدة رخيصة عليها دجاجة ميتة ، ودخلوا إلى غرفة المعيشة القذرة وهناك كان هذا ..

رآه مستر (بيرجيس) فورًا ، فوقف متصلبًا وأطلق شهقة ..

ولمدة عشرين ثانية ظل كالصنم لا يصدق ، ولا يجرؤ على تصديق ما يراه ..

مستحيل ! إنه أمام حقيقة واقعة .. لكن من يخطئ فى شىء كهذا ؟ إنه هو !

كان مدهونًا بطلاء أبيض لكن هذا لا يغير الحقيقة .. أحد الحمقى فعلها .. لكن يمكن إزالة الطلاء على كل حال ..

لكن بالله انظر إليه ! وفى مكان كهذا !

الآن تأتى مشكلة الرجال الذين رأوه يشهق ويتصلب ، ووجهه يحمرّ أو يبيضّ .. لقد رأى هؤلاء ما يكفى لإفساد العملية كلها ، ما لم يتصرف سريعًا ..

وضع يده على قلبه واتجه إلى أقرب مقعد وهو يشهق..

سأله (كلود) :

ـ « ماذا هنالك أيها الخورى ؟ »

ـ « لـ .. لا شىء .. سأكون على ما يُرام حالاً .. أريد كوبًا من الماء .. إنه قلبى .. »

أحضروا له الماء ، ووقفوا يرمقونه فى شك ، وقال (رامينس) :

- « حسبتك تنظر إلى شىء ما .. »

- « لا .. لا يا عزيزى .. إنه قلبى .. هذا يحدث أحيانًا .. »

يجب أن يجد الوقت ليفكر .. يجب أن يرتب ما يقول .. إن هؤلاء القوم جهلة لكنهم ليسوا حمقى .. أبقى يده على عينيه ، ومن بين إصبعيه اختلس نظرة .. حقًا .. إن الشىء هناك ..

نعم .. لا شك فى أن هذه قطعة أثاث يدفع أى جامع أثاث أى مبلغ ليحصل عليها .. وكان يعرف جيدًا كأى تاجر عاديات فى أوربا وأمريكا أن أهم ثلاث قطع أثاث من القرن الثانى عشر ، هى الكومودات الثلاثة المعروفة باسم (كومودات شيينديل) ..

تم اكتشاف أول واحد عام 1920 ، وبيع فى مزاد فى العام ذاته ، أما الاثنان الآخران فقد احترقا بعد عام .. لم يتذكر السعر ، لكنه يعرف أنه لا يقل عن

3900 جنيه ، وهذا عام 1920 ! لا بد أنه يساوى عشرة آلاف اليوم ..

يجمع الكل على أن (توماس شيينديل) هو من صنع هذه القطع بنفسه .. الآن هو يرى من بين أصابعه الكومود الرابع !

رابع كومود لـ (شيينديل) ! لقد وجده .. سيغدو ثريًا شهيرًا لأن كل (كومود) يشتهر فى التاريخ باسم مكتشفه : كومود (شاسلتون) .. كومود (راينهام) الأول والثانى ..

أما اسم هذا فسيكون (بيرجيس) .. كومود (بيرجيس) .. ولسوف تنشر جريدة (تايمز) صورته جوار الكومود ..

ها هو ذا هنا ، وهو يشبه الكومود الثانى تمامًا ، مزخرف على طراز (روكوكو) الفرنسى .. وكل هذا حقيقى وليس حلمًا ..

سألوه :

- « كيف حالك ؟ »

- « بخير .. بخير ، هذه النوبة تحدث أحيانًا .. »

ونهض يتأمل أثاث الحجرة .. يتأمل كل شىء ما عدا الكومود .. وقال :

- « منضدة من البلوط .. قطعة جميلة لكنها ليست عتيقة بما يكفى .. مقاعد مريحة لكنها حديثة .. هذه الخزانة .. لا قيمة لها .. وهذه (الشوفينيرة .. »

واتجه إلى الكومود وقرعه بأصابعه - « تساوى بضعة جنيهات .. إنها تقليد ردىء صنع فى العصر الفكتورى .. هل دهنته بالأبيض ؟ هذه خطوة موفقة ، لأن شكله أجمل باللون الأبيض .. »

قال (رامينس) :

- « إنها قطعة أثاث متينة ، وعليها زخارف .. »

قال مستر (بيرجيس) وهو ينحنى ليفحص الزخارف المذهلة :

- « إنها من صنع آلة وليست باليد .. يمكنك معرفة هذا من على بعد أميال .. »

ثم ثنى ذراعه وأراح الأخرى عليها .. واعتصر ذقنه بأنامله كمن يفكّر ، وقال :

- « هل تعرف ؟ لطالما أردت أرجل مقعد كهذه من زمن طويل .. إن لدىّ منضدة جميلة فى منزلى لكن أرجلها قد تلفت ، وأنا مولع بهذه المنضدة .. لربما تناسبها أرجل هذه (الشوفنيرة) .. »

ورفع عينه إلى ثلاثة أزواج العيون المتباينة ، المختلفة لكنها جميعًا ترتاب فيه ..

- « هلموا .. هلموا .. ماذا أقول ؟ »

سأله (رامينس) :

- « تريد القول إنك تبغى شراءها ؟ »

- « لست متأكدًا .. ربما .. لا .. ربما كانت مشكلة .. الأمر لا يستحق العناء .. سأترككم .. »

استوقفه (رامينس) سائلاً :

- « كم تقدر سعرها ؟ »

- « ليس كثيرًا ، فهى ليست قديمة إلى هذا الحدّ .. »

- « بل هى قديمة جدًا .. أين قطعة الورق التى وجدناها فى الدرج ؟ تلك الفاتورة ؟ »

فتح (بيرجيس) فمه ثم أغلقه ، وحرفيًا راح يرتجف .. حتى إنه اضطر إلى الاتجاه للنافذة ليخفى انفعاله ..

اتجه (بيرت) إلى الكومود ، ومن درج أوسط أخرج ورقة صفراء مطوية حملها إلى أبيه ، فقربها هذا من وجه الخورى ..

قال (رامينس) :

- « لا تقل لى إن هذه الكتابة ليست قديمة .. »

كان (بيرجيس) على وشك الإصابة بالفالج من فرط الانفعال ..

كانت الورقة هشة مهشمة لكن المكتوب عليها يقول :

- « إدوارد مونتاجو - كومود من صنع (شيبنديل) .. الثمن 87 جنيهًا استرلينيًا ..

تماسك (بيرجيس) برغم الدوار .. ربّاه ! إن هذه الفاتورة تضاعف من قيمة الكومود .. كم يساوى الآن ؟ ربما عشرين ألفًا أو أكثر ..

وضع الورقة على المنضدة ، وقال :

- « إنها مجرد فاتورة بيع لا تدلّ على شىء .. وعمر هذه القطعة يعود إلى عام 1870 .. أى منذ سبعين عامًا .. لكن هذا لا يجعلها تحفة .. هل مع أحدكم سكين ؟ »

أخرج (كلود) مطواة (قرن غزال) من جيبه ، وناولها لـ (بيرجيس) ففتح النصل وبعناية رهيبة أزال قطعة من الطلاء الأبيض على قمة الكومود .. وببطء برز الخشب الجميل تحتها يلتمع كالياقوت ..

قال لهم :

- « انظروا ! » هل ترون ؟ هذا الخشب قد عولج ! »

- « كيف أيها الخورى ؟ »

- « هذه مسألة خبرة .. هذا الخشب قد عولج بالجير

لإعطائه مظهرًا عتيقًا أثريًا .. بالنسبة لخشب البلوط يستعملون البوتاس ، ولخشب الجوز يستعملون حمض النتريك.. والجير هو طريقة معالجة خشب الماهوجنى ..»

تزاحم الرجال والاهتمام على وجوههم ، فقد كان من المثير دومًا أن يكتشفوا طريقة جديدة للخداع أو النصب..

قال لهم :

ـ « هل ترون لمسة البرتقالى هذه وسط البنى ؟ إنها علامة الجير .. »

تلاشت الأنوف وهم يتأملون .. فراح يخطب فيهم :

ـ « لكم يثير رعبى الوقت والجهد الذى يبذله أولئك الفنانون لخداع إخوانهم فى البشرية ! إنهم مثيرون للاشمئزاز.. أراهم يدهنون الخشب بالورنيش الفرنسى ، ثم يضعون الجير ليبدو مظهره كأنما عمره مائتا عام ..»

وانحنى ليشير إلى أحد مقابض الأدراج المعدنية ، وقال :

ـ « هذه خدعة أخرى .. إن النحاس العتيق له لون خاص به .. »

نظروا إليه وهم يأملون فى مزيد من الأسرار ، فقال :

ـ « المشكلة أنهم صاروا يجيدون التزوير .. لم يعد أحد يعرف الأصلى من المزيف .. إن هذه المقابض النحاسية مثلاً قد تركت فى صندوق من نشارة الخشب المشبعة بالنوشادر .. من ثم تخضرّ .. »

كان (كلود) أكثر الثلاثة اهتمامًا ، لأن المرء لا يعلم ما قد يصادفه من فرص فى حياته ، ومازال عالم النصب متسعًا للجميع ..

وأخرج (بيرجيس) من جيبه مفكًا صغيرًا ، وفى نفس اللحظة أخفى فى راحته خلسة مسمارًا نحاسيًا صغيرًا ، ثم انتقى أحد المسامير الحلزونية فى الكومود وراح برفق يفكه .. وقال :

ـ « لو كان هذا المسمار من النحاس الأصلى من القرن الثامن عشر ، لوجدتم أن الخطوط الحلزونية غير منتظمة لأنها صنعت يدويًا ، أما لو كان مزيفًا ستجدون أن المسمار منتظم لأن الآلة هى صانعته .. »

وبسهولة أراهم المسمار الذى أخرجه من جيبه .. كانت جيوب بذلته الإكليركية ملأى بالمسامير النحاسية تحسبًا لهذه المواقف ..

ـ « الآن لاحظوا كم أن هذا المسمار منتظم دقيق الصنع .. »

راح كل من الرجال يتفحص المسمار ، فأعاد (بيرجيس) المفك إلى جيبه مع المسمار المنزوع من الكومود ، وقال ماشيًا للباب :

ـ « يا أصدقائى .. كان لطفًا منكم أن تستضيفونى ، وعساى لم أزعجكم .. »

نظر (رامينس) إليه ، وقال :

ـ « لم تقل لنا كم ستدفع .. »

ـ « آه .. نسيت .. فى الحقيقة .. أعتقد أننى سأتركه .. هل تريد حقًا الخلاص منه ؟ »

ثم مشى إلى الكومود وتفحصه مقطبًا ، ثم قال :

ـ « لنقل عشرة جنيهات ؟ هذا سعر عادل .. »

صاح (رامينس) :

ـ « عشرة جنيهات ! لا تكن سخيفًا أيها الخورى .. »

وصاح (كلود) :

ـ « لو بعناه حطبًا لساوى أكثر من هذا .. »

ـ « هذه الفاتورة تقول إنه وقتها ساوى سبعة وثمانين جنيهًا .. والآن لا بد أنه صار أغلى .. »

قال (بيرجيس) :

ـ « لا تنسوا أنه تقليد .. ولكن .. ليكن . سأرتفع إلى خمسة عشر جنيهًا .. »

صاح (رامينس) :

ـ « اجعلها خمسين ! »

سرت قشعريرة لذيذة فى جسد (بيرجيس) .. لقد فاز به ! إنه ملكه .. لكن عادة الشراء بأرخص أثمان تسمح بها الإنسانية ؛ تغلبت عليه ، فلم يستسلم ..

همس بنعومة :

- « يا عزيزى .. أنا أريد الأرجل فقط .. أما الباقى فهو حطب للمدفأة .. »

- « إذن اجعلها خمسة وثلاثين .. »

- « عشرين ! هذا هو عرضى الأخير .. »

- « ليكن .. إنه لك .. »

- « آه يا عزيزى ! هأنذا أخطئ ثانية .. ما كان يجب أن أبدأ هذا .. »

قال (رامينس) ملوحًا فى وجهه باصبعه الغليظ القذر :

- « لا يمكنك التراجع أيها الخورى .. إن الصفقة هى الصفقة .. »

- « نعم .. »

- « وكيف ستأخذه ؟ »

- « سأجلب سيارتى هاهنا ونضعه بها .. »

- « عربة ؟ هذا الشىء لن يوضع فى عربة .. أنت بحاجة إلى شاحنة .. »

- « سأتصرف فلا تقلقوا .. »

واتجه إلى الفناء ليجلب سيارته الـ (ستيشن) حيث أخفاها ..

مشى وهو يقهقه فى سره .. كان يشعر أن الفقاقيع تتصاعد من معدته إلى مخه كالمياه الغازية .. وكان عسيرًا أن يمنع نفسه من الجرى ، لكن رجال الإكليرك لا يجرون بل يمشون الهوينى ..

إبق هادئًا يا (بيرجيس) .. امش ببطء .. إن الكومود ملكك .. ملكك مقابل عشرين جنيهًا وهو يساوى عشرين ألفًا !

ستعود إلى (لندن) به تغنى .. ويا له من يوم مجيد !

* * *

وفى المزرعة كان (رامينس) يقول :

- « تخيل أن هذا الأحمق يعطى عشرين جنيهًا ثمنًا لنفاية كهذه ! »

قال (كلود) :

ـ « لقد كنت بارعـًا يا سـيدى .. هـل تظـن أنـه سيدفع ؟ »

ـ « لن يأخذه قبل أن أرى ماله .. »

قال (بيرت) :

ـ « لن يستطيع وضعه فى السيارة .. هل تعلمـون ما أفكر فيه ؟ سوف يكتشف ذلك وعندها يقـول : فليذهب إلى الجحيم ، ويقود سيارته ولـن نـراه ثانيـة لا هو ولا المال .. يبدو أنه ليس متمسكًا به .. »

صمت (رامينس) مفكرًا ، ثم تساءل :

ـ « كيف نضع شيئًا كهذا فى السيارة ؟ إن خوريـة الكنائس لا يركبون سيارات كبيرة .. إن لدىّ فكرة .. لقد قال إنه لا يريد سوى الأرجل .. حسن ! كل ما علينا هو أن نقطع الأرجل قبل أن يعود ، وهكذا يدخل الشـىء إلـى السيارة .. وبهذا نوفر عليـه قطع الأرجـل عنـد العودة إلى الدار .. »

وخلال دقيقتين رفع (كلود) و(بيرت) الكومود إلـى الخارج ، وبين روث البقر وفضلات الخيول ألقياه ، ومن بعيد رأيا الخيال الأسود للخورى يتحرك .. كـان يتواثب بخفة .. فقال (كلود) :

ـ « أعتقد أنه مجنون .. »

وعاد (رامينس) بالمنشـار ، وناولـه لـ (كلـود) وقال له :

ـ « اقطع جيدًا .. لا تنس أنه سيعيد استعمالها .. »

كان الماهوجنى صلبًا جافًا ، وإذ مشى فيه المنشـار راح غبار أحمر يسقط أرضًا ، وأخيرًا انفصلت الأرجل فرصّها (بيرت) فى صفّ ..

قال (كلود) وهو يتأمل ما تمّ :

ـ « سؤال واحد يا مستر (رامينس) .. هل يمكـن الآن وضعه فى سيارة ؟ »

ـ « لا .. ما لم تكن عربة (فان) .. »

ـ « حسن .. والخورية لا يركبون عربات (فان) ، بـل يركبـون سيارات صغيرة من طـراز (أوسـتن) أو (موريس) .. »

قال (رامينس) :

ـ « هو يريد الأرجل .. والباقى يحتاج إليه كحطب ، وما لم يحصل على كل شىء سيرفض الدفع .. أين الفأس ؟ »

واتجه (بيرت) ليحضر فأس الحطاب ، وبصق (كلود) فى راحتيه وبضربات قوية راح يهشم الكوموود إلى قطع صغيرة ..

كان عملاً عسيرًا احتاج إلى بضع دقائق .. وقال وهو يجفف عرقه بعد ما انتهى :

ـ « دعنى أقل شيئًا .. لقد كان هذا النجار بارعًا ، ولا يهمنى ما يقوله الخورى .. »

قال (رامينس) :

ـ « لقد حان الوقت على كل حال .. ها هو ذا عائد إلينا ! »

* * *



الطريق إلى السماء ..

طيلة حياتها .. كان لدى مسز (فوستر) خوف مرضى من عدم اللحاق بقطار أو طائرة أو باخرة أو حتى فتح ستار المسرح ..

فى النواحى الأخرى لم تكن عصبية ؛ لكن فكرة التأخر كانت تملؤها هستيريا إلى حد الرجفة ، وكانت عضلة صغيرة ترتجف فى جفنها الأيسر .. فلم تكن تختفى إلا بعد ساعة من اللحاق بالموعد ..

ومن المثير والغريب أن ترى كيف يتحول قلق بسيط إلى وسواس حقيقى لدى بعض الناس ، فقبل الموعد بساعة كانت تخرج من مصعد دارها مستعدة ، تعتمر قبعتها وتلبس قفازيها ، وتظل تمشى من غرفة لغرفة حتى يخرج زوجها - الملمّ بحالتها - ويقترح بصوت بارد أن يذهبا الآن ..

كان مستر (فوستر) يملك كل الحق فى أن تضايقه حماقة زوجته ، لكن لم يكن له حق فى أن يزيد تعاستها بالانتظار بلا داع ..

ومن العسير أن نتهمه بتعذيب زوجته عمدًا ، لكنه كان يفعل ذلك ، وكانت هى قد تعلمت ألا تناديه أو تتعجله ..

ولا بد أنه كان يعرف أنه يقودها إلى هستيريا شديدة ، وفى مرة أو مرتين تعمد أن يفوّت موعد قطار لمجرّد أن يزيد معاناتها ..

ولو افترضنا أننا لا نستطيع تبرئته تمامًا ، فليس بوسعنا تجاهل حقيقةَ أن زوجته كانت لطيفة محبة ، ظلت تخدمه بإخلاص ثلاثين عامًا .. ولم تعترف لنفسها قط بأن زوجها يحب تعذيبها ..

كان مستر (فوستر) فى السبعين من عمره ، يعيش مع زوجته فى مسكن كبير فى (نيويورك) ، وكان لديهما أربعة خدم .. والمسكن كئيب لا يزوره كثيرون ..

لكن فى هذا الصباح بالذات من شهر (يناير) دبت فى الدار الحياة ، وراحت خادمة تغطى الأثاث بالملاءات فى كل غرفة ، والساقى يجلب الحقائب إلى الصالة ..

وراحت مسز (فوستر) تخرج من غرفة لأخرى متوترة قلقة ، لا تفكر فى شىء إلا أنها ستفقد طائرتها لو لم يخرج زوجها من مكتبه حالاً ويستعدّ ..

قالت للساقى إذ مرت بجواره :

- « كم الساعة يا (ووكر) ؟ »

- « تسعة وعشر دقائق يا مدام .. »

- « وهل جاءت السيارة .. »

- « نعم .. ولسوف أنقل لها المتاع الآن .. »

- « سيحتاج الأمر إلى ساعة للوصول إلى المطار ، وطائرتى تقلع فى الحادية عشرة .. يجب أن أكون هناك قبلها بنصف ساعة .. ربّاه ! سأتأخر .. أعرف أننى سأتأخر ! »

قال لها برفق :

- « ستلحقين بها يا مدام .. لقد أبلغت مستر (فوستر) أنك سترحلين فى التاسعة والربع ، وما زالت أمامك خمس دقائق .. »

وبدأت تمشى قلقة .. هذه هى الطائرة التى ينبغى ألا تفوتها ، وقد أمضت شهورًا تقنع زوجها بالرحيل .. لو ضاعت منها سيلغى الموضوع كله من تفكيره .. والكارثة هى أنه مصرّ على المجىء معها إلى المطار كى يودعها ..

وراحت عضلة جفنها الأيسر ترتجف ..

- « إنها التاسعة وثلاث عشر دقيقة .. »

- « الآن سأفقدها .. بالتأكيد .. »

كانت أمنيتها أن تزور ابنتها فى (باريس) .. ابنتها التى سافرت إلى (فرنسا) وتزوجت من فرنسى ، ورزقت بطفلين ، وكانت مسز (فوستر) تتحرق كى ترى حفيديها .. إنها لا تستطيع الحياة فى مكان بعيد عنهما : تأخذهما للنزهة وتبتاع لهما الهدايا وترقبهما ينموان ..

كانت تعرف أنه ما دام زوجها حيًا فمن المستحيل أن تفكر فى هذا كما كانت تعرف أنه لن يرحل إلى (باريس) أبدًا ، ومن الغريب أنه سمح لها بذلك ..

- « التاسعة واثنتان وعشرون دقيقة يا مدام .. »

هنا انفتح الباب وخرج مستر (فوستر) إلى الصالة .. ذلك الرجل ذو الجسد واللحية الضخمين ، وقال :

- « حسن ، يبدو أن علينا الرحيل الآن إن شئت اللحاق بالطائرة .. »

- « نعم يا عزيزى .. »

وعقد يديه على صدره ، وأمال رأسه لجانب ، وقال :

- « سآتى فورًا .. سأغسل يدىَ حالاً .. »

وانصرف فيما وقف الخادم جوارها يحمل قبعة الرجل ومعطفه .. سألت الخادم :

- « هل سأضيع الطائرة ؟ »

- « لا يا مدام .. ستلحقين بها .. »

وعاد مستر (فوستر) فهرعت للخارج ، وركبت السيارة (كاديلاك) المستأجرة ، وجاء زوجها خلفها وهو يتوقف لحظة أخرى ليرمق السماء ويشم رائحة الهواء البارد ..

وفى السيارة جلس جوارها ، وقال :

- « يوجد ضباب ، ولسوف يكون الوضع أسوأ فى المطار .. لن يدهشنى أن تتأجل الرحلة .. »

- « لا تقل هذا يا عزيزى .. »

وعبرت السيارة نهر (لونج آيلاند) ، فقال لها :

- « لقد رتبت مع الخدم كل شىء .. كلهم يرحل اليوم ، ولسوف أرسل لـ (ووكر) برقية حين أريده .. سأقيم أنا فى النادى ابتداءً من اليوم ، ومن وقت لآخر سأمر على البيت لأطمئن .. »

- « ألا ترى أن من الخير أن يظل (ووكر) فى البيت ؟ »

- « كلام فارغ .. وفى النهاية سأدفع له راتبًا كاملاً مقابل لا شىء .. »

وصلت السيارة إلى أرض المستنقعات التى فيها (أيدل وايد) ، وازداد الضباب كثافة وازداد توتر المرأة ..

قال زوجها :

ـ « كفى عن القلق .. لابد أن الرحلة ألغيت .. لا أحد يطير فى هذا الجو .. »

لم تكن واثقة لكنها أحست نبرة جديدة فى صوته ..

ونظرت عبر النافذة إلى الضباب ، فقال لها :

ـ « يجب أن تقبلى حقيقة أنك فقدت الطائرة .. »

فجأة أوقف السائق العربة ، فصاح مستر (فوستر) :

ـ « لقد غرسنا ! كنت واثقًا من هذا ! »

قال السائق :

ـ « كلا يا سيدى .. بل نحن فى المطار .. لقد وصلنا .. »

دون كلمة أخرى وثبت من السيارة ، وهرعت إلى شباك التذاكر حتى وجدت طريقها إلى الموظف ، الذى قال لها :

ـ « نعم .. لقد تأجلت الطائرة لكن أرجو ألا ترحلى .. نحن بانتظار أن يتحسن الطقس .. »

عادت لزوجها فى السيارة ، وأخبرته بالموضوع ، وقالت :

ـ « لا تنتظر معى يا عزيزى .. لا داعى لهذا .. »

ـ « لن انتظر .. هل ستعيدنى إلى النادى أيها السائق ؟ »

قال السائق :

ـ « نعم .. »

ودعته ثم بقيت فى المطار وحدها .. وكانت بقية اليوم كابوسًا حقيقيًا ، ظلت على (الدكة) ساعة بعد ساعة ، وكل نصف ساعة تنهض لتسأل الموظف عن الحال ، والإجابة دائمًا أن عليها الانتظار ..

وحتى السادسة مساء دوى صوت المكبر يعلن بأن الرحلة تأجلت إلى الحادية عشرة صباح الغد ..

ماذا تفعل الآن ؟ أين تمضى أمسيتها ؟ إن مخها ضبابى مرهق تمامًا .. لو عادت للبيت لمنعها من السفر ثانية .. عليها البقاء حيث هى طيلة الليل .. لكن هذا عسير بالنسبة لعجوز مثلها ..

اتجهت للهاتف وطلبت منزلها ، وكان زوجها على وشك الخروج إلى النادى ، فأخبرته بالأمر ..

ـ « سأجد لنفسى غرفة فى مكان ما الليلة .. »

ـ « هذا حمق .. إن لديك منزلاً كبيرًا هو منزلك .. »

ـ « لكنه خال يا عزيزى ، وما من طعام فيه .. لا شىء .. »

ـ « إذن كلى قبل أن تجيئى .. »

ـ « ليكن .. سأبتاع شطائر وأجىء لك .. »

ـ « ولم تعد للمنزل إلا فى ساعة متأخرة ..

وخرج زوجها يستقبلها ، فقالت له :

ـ « تأجلت الرحلة إلى الحادية عشرة صباحًا .. »

ـ « لو زال الضباب .. »

ـ « إنه يزول بالفعل الآن .. والآن سأدخل لأنام .. »

ـ « لقد طلبت عربة أجرة فى التاسعة صباحًا .. »

ـ « شكرًا يا عزيزى .. لكن لا ترهق نفسك بتوديعى غدًا ! »

ـ « لا .. لا .. لن أفعل .. لكن لا أرى ما يمنع من أن توصلينى إلى النادى فى طريقك .. »

ـ « لكن النادى فى وسط المدينة ، وهذا ليس طريق المطار .. »

ـ « لكن لديك وقتًا كثيرًا يا عزيزتى .. والآن أراك فى التاسعة صباحًا .. »

دخلت إلى فراشها ، وكانت متعبة إلى حد أنها نامت قبل أن تأخذ وضع الرقاد ..

* * *

فى الصباح التالى نهضت ، وفى الثامنة والنصف كانت مستعدة ..

فى التاسعة ظهر زوجها وسألها عن القهوة ، فقالت :

- « لا يا عزيزى .. ستتناول إفطارك فى النادى .. لقد جاءت السيارة ، كانا واقفين فى الصالة .. هذه هى العادة هذه الأيام أن يتقابلا فى الصالة ..

- « وحقائبك ؟ »

- « فى المطار .. »

- « حسن .. ستوصلينني إلى النادى أولاً ثم تذهبين للمطار .. سأحضر بعض السيجار ثم ألحق بك .. »

دخلت السيارة ، وسألت السائق :

- « كم الوقت ؟ »

- « التاسعة والربع .. »

وبعد خمس دقائق جاء مستر (فوستر) ، وكالعادة كان يقف كل لحظة ليشمَ الهواء .. جلس جوارها ، وقال:

- « ربما تكونين محظوظةَ هذه المرة .. »

أدار السائق المحرِّك ، فصاح مستر (فوستر) :

- « لحظةَ من فضلك .. لا تنطلق .. »

وراح يفتش فى جيوب المعطف ، وقال :

- « إن لدى هديةَ صغيرةَ لـ (أليس) .. لكن بحق السماء أين هى ؟ لقد اختفت من يدى .. »

- « لم أرك تحمل شيئاً ! »

- « إنها علبة صغيرة ملفوفة فى ورق أبيض .. »

راحت تبحث كالمجانين فى كل مكان ، وواصل زوجها البحث فى جيوبه وقال :

- « تبًا ! لا بد أننى نسيتها فى غرفتى .. سأصعد لأبحث عنها ! »

- « أرجوك ! لا وقت لدىَ ! أتركها ! أرسلها بالبريد .. لا بد أنه مشط سخيف ، فأنت لا ترسل لها سوى الأمشاط ! »

ـ « وما هو الخطأ فى الأمشاط ؟ »

وبدا عليه الغضب لأنها نسيت نفسها ، وأمرها أن تنتظر حتى يبحث عن الهدية ، وجلست تنتظر .. وتنتظر .. وتنتظر ..

رأت شيئًا أبيض محشورًا بين المقعدين حيث كان زوجها جالسًا ، فمدت يدها لتجده العلبة الورقية ، ولاحظت أنها مغروسة بدقة كأنما بفعل يد تعمدت وضعها هناك ..

ـ « ها هو ذا ! لكنه سيظل للأبد يفتش عنه ! »

وبدأت تبحث عن المفتاح بتوتر شديد ، ثم اندفعت خارجة من السيارة نحو الباب الأمامى ، وفتحت الباب ، ثم ..

ثم توقفت ..

تصلبت كأنما تصغى لشىء ما .. انتظرت خمس .. ست .. سبع ثوان .. جسدها كله متوتر .. حقًا كانت تصغى بكل جوارحها ، وقد مالت أذنها على الباب ،

ولمدة ثلاث ثوان أخرى ظلت بهذا الوضع ، ثم فجأة عادت للحياة ..

أغلقت الباب ، وهرعت للسيارة ، وصاحت :

ـ « ببساطة لن أنتظره .. الوقت ضيق .. هلم بنا ! »

ولاحظ السائق أن ملامحها تغيرت ، ووجهها قد شحب تمامًا ، ولم تعد تلك النظرة الناعمة بل وجهًا مصممًا صارمًا تلتمع عيناه ، وصوتها اكتسب نبرة قوية آمرة ..

ـ « ألن يسافر زوجك معك ؟ »

ـ « نعم .. إنه ذاهب إلى النادى .. لا يهم .. سيركب سيارة أخرى .. هلم .. هلم ! »

وهكذا قاد الرجل السيارة بسرعة ، ولحقت بالطائرة قبل رحيلها ببضع دقائق ، وفى النهاية انطلقت عبر الأطلنطى ..

استرخت فى مقعدها شاعرة بالقوة والروعة ..

وإذ وصلت (باريس) كانت هادئة ثابتة الجنان ..

قابلت حفيديها ، وكانا ملاكين جميلين ، وراحت فى كل يوم تأخذهما للنزهة وتبتاع لهما الهدايا والكعك ، وفى كل أسبوع كانت تكتب لزوجها خطابات تنتهى بعبارة :

- « لا تنس أن تتناول وجباتك بانتظام .. »

وبعد ستة أسابيع حزن الجميع لأنها عائدة إلى (أمريكا) ، لكن بدا من طريقتها وهى تودعهم أنها تلمح إلى العودة ..

وصلت إلى (أيدل وايت) ، وكانت (نيويورك) أبرد من (باريس) والجليد فى كل مكان ..

دفعت بقشيشًا لسائق العربة ، ثم وقفت خلف الباب الأمامى وقرعت الجرس فلم يردّ أحد .. للتأكد انتظرت ثم قرعته ثانية .. لا أحد هنا ..

فتحت الباب بمفتاحها ، وكان أول ما رأته هو كومة من الرسائل على الأرض ، وكان المكان مظلمًا باردًا والغبار يغطى كل شىء ، ورائحة غريبة فى الهواء لم تشمها من قبل ..

مشت عبر الصالة .. كان شىء ما متعمدًا فى مشيتها هذه ، كأنها امرأة تؤكد شكًا أو تحقق فى إشاعة ..

وحين عادت كانت عيناها تلمعان ، واتجهت إلى مكتب زوجها وبحثت عن دفتر العناوين وأرقام الهاتف ..

طلبت رقمًا ، وقالت :

- « مرحبًا .. هنا رقم تسعة شارع (62) .. نعم .. هل لك أن ترسل شخصًا سريعًا ؟ إنه محشور بين الطابقين الثانى والثالث .. هذا ما يوحى به المؤشر .. هذا كرم منك .. إن قدمىّ لم تعودا قادرتين على صعود السلالم .. »

وجلست تنتظر على مكتب زوجها ..

تنتظر الرجل الذى سيجىء لإصلاح المصعد ..

* * *

صاحبة المسكن



صاحبة المسكن ..

سافر (بيلى ويفر) من (لندن) فى قطار العصر البطىء ، واستبدل القطار فى (سويندون) ، وحين وصل إلى (باث) كانت التاسعة مساءً ، والقمر يلتمع فى سماء مرصعة بالنجوم ..

لكن الهواء كان باردًا ، والريح كانت كنصل ثلجى يمزق خديه ..

- « معذرة .. لكن هل هناك فندق رخيص بالقرب من هنا ؟ »

أشار الحمال فى اتجاه ما ، وقال :

- « جرّب (بيل آند دراجون) فلربما يقبلونك .. إنه على بعد ربع ميل .. »

شكره (بيلى) ، وحمل حقيبته ماشيًا الربع ميل إلى (بيل آند دراجون) ، ولم يكن قد زار (باث) من قبل ، ولم يكن يعرف أحدًا هناك ، لكن مستر (جرين سليت) فى (لندن) أخبره أنها رائعة ..

قال له :

- « إبحث عن مسكن ، ثم اتصل بمدير الفرع فور استقرارك .. »

كان (بيلى) فى السابعة عشرة من عمره يرتدى معطفًا أخضر وقبعة جديدة ، وكان يمشى فى الطريق مسرعًا .. تلك الخطوة التى تميز كل رجال الأعمال الناجحين .. هكذا كان كل رجال المكتب الرئيسى يمشون ..

لم تكن هناك متاجر فى الشارع .. فقط بعض المنازل الشامخة المقامة على أعمدة ، وقد تساقط طلاء أكثرها ..

وفى نافذة طابق سفلى ، رأى فى ضوء مصباح الشارع لافتة خلف الزجاج تقول : (فراش وإفطار) ..

وتحت اللافتة رأى مزهرية جميلة ، وعلى جانبى النافذة ستائر خضراء تشبه القطيفة .. دنا أكثر واختلس النظر إلى داخل الغرفة .. كانت نار مشتعلة فى مدفأة ، وعلى السجادة أمام النار كان كلب من نوع (داشهاوند) نائمًا فى سلام ..

وعلى ضوء النار رأى الغرفة ملأى بأثاث جميل مريح .. ثمة بيانو صغير وأريكة ومقاعد وثيرة ، وببغاء فى قفص ..

قال لنفسه :

ـ « هذا منزل محترم يمكن أن أقيم فيه ، ولسوف يريحنى أكثر من (بيل آند دراجون) .. »

إن للفندق مزية هى وجود عدد كبير من الناس يتحدث إليه ، لكنه كان يهاب (البنسيونات) .. إن الاسم نفسه مرعب يذكرك برائحة حساء الكرنب ، وصاحبات النزل المتلصصات ، ورائحة الرنجة فى غرفة المعيشة ..

حقًا يجب أن يرى (بيل آند دراجون) قبل أن يقرر ..

هنا حدث شىء غريب .. لقد راحت عبارة (فراش وإفطار) تتردد فى ذهنه وأمام عينيه مرارًا ، وراحت كل كلمة كأنها عين كبيرة تتلصص عليه من وراء الزجاج وتمسك به وتناديه ..

لم يدر متى مشى إلى الباب الأمامى ، وقرع الجرس ..

سمع الرنين ثم فتح الباب بسرعة .. بسرعة إلى حدّ أنه لم يجد الوقت ليرفع إصبعه عن الجرس .. من الطبيعى أن تمر دقيقة بين رنين الجرس وفتح الباب ؛ لكن هذه المرأة كانت مثل عفريت العلبة ..

ضغط الجرس فوثبت فى وجهه ..

كانت فى الخامسة والأربعين ، وابتسمت مرحبة إذ رأته .. وقالت فى مودة :

ـ « هلم .. »

خطا للداخل ، فوجد نفسه يتأمل المنزل .. قال لها متماسكًا :

ـ « رأيت اللافتة فى النافذة .. »

ـ « أعرف .. »

ـ « وكنت أبحث عن غرفة .. »

ـ « كل شىء مُعَدّ .. »

كانت عيناها زرقاوين فى وجه أحمر مستدير ..

قال لها :

- « لقد استوقفتنى العبارة بينما ... »

ثم استدرك فقال :

- « كم تطلبين ؟ »

- « خمسة ونصف فى الليلة مع الإفطار .. »

كان هذا رخيصًا جدًا ، وأقل مما تمنى .. لكنها قالت :

- « لو كان هذا كثيرًا فلربما أمنحك تخفيضًا .. هل تريد بيضة فى الإفطار ؟ إن البيض غال حاليًا ، ولو تنازلت عنه لكان الأجر أرخص .. »

- « إن السعر مناسب كما هو .. »

كانت لطيفة جدًا ، كأنها أم أفضل أصدقائك فى المدرسة تسألك البقاء مع ابنها ليلة عيد الميلاد ..

نزع قبعته وبدأ يخلع معطفه ، وتأمل المدخل .. لا قبعات ولا مظلات ولا عصى .. قالت له وهى تقوده :

- « كما ترى ليست متعة الضيوف فى دارى من حقى دومًا .. »

كانت - كما قال لنفسه - على شىء من الخبال .. لكن من يهتم بهذا مقابل خمسة ونصف فى الليلة ؟

قال لها فى أدب :

- « المفترض أن يكون هذا المكان الرحب مزدحمًا .. »

- « إنه كذلك يا عزيزى ، لكنى انتقائية نوعًا هاهنا .. كل شىء معدّ ليلاً ونهارًا بانتظار قدوم شاب مهذب مثلك .. فقط الشخص المناسب هو الذى يبيت هنا .. »

وأضافت بابتسامة باهتة :

- « مثلك .. »

عند الطابق الأول قالت له :

- « هذا الطابق ملكى .. أنا أعيش هنا .. »

وتسلقت الدرجات إلى الطابق الثانى :

- « وهذا ملكك .. وهذه حجرتك .. »

واقتادته إلى غرفة نوم صغيرة لكنها مريحة ، وقالت له :

- « ضوء الشمس يدخل من هذه النافذة صباحًا ليملأ الغرفة .. يا مستر (ويلسون) .. »

- « (ويفر) .. اسمى (ويفر) .. »

- « لكن يا مستر (ويفر) .. قد دسست زجاجة من الماء الساخن تحت الملاءات .. من الممتع دومًا أن تجد زجاجة من ماء ساخن فى فراش غريب ملاءاته نظيفة .. ألا ترى هذا ؟ يمكنك أن تشعل المدفأة متى رأيت ذلك .. »

ولاحظ أن الغطاء مطوى على جانب ، كأنما يدعو المرء كى يدخل فيه .

قالت وهى تنظر لوجهه نظرة جدية :

- « يسرنى أنك جئت .. لقد بدأت أقلق .. »

وضع حقيبته على مقعد وراح يفتحها ، فقالت له :

- « وماذا عن العشاء يا عزيزى ؟ هل تناولته ؟ »

- « أعتقد أننى سأنام مبكرًا .. على أن أصحو مبكرًا لأتصل بمدير الفرع .. »

- « لكن .. سأتركك الآن لتفرغ حقائبك ، لكن أرجو قبل أن تنام أن تتكرم بالحضور لغرفة الجلوس كى توقع السجل ؟ كل شخص هنا يفعل هذا .. إنه القانون ، ولا نريد أن نخرقه فى هذا الطور المبكر من تعارفنا .. »

ولوحت بيدها وغادرت الغرفة ..

كان الآن يدرك تمامًا أن هذه المرأة غيرمتزنة .. لكن هذا لم يقلقه .. انها كريمة خدوم ودود .. بالتأكيد هى فقدت ابنها فى الحرب أو شيئًا كهذا ، ولم تقهر الصدمة بعد ..

وبعد دقائق - وبعد غسل يديه - نزل إلى غرفة المعيشة .. لم يكن هناك أحد لكن النار كانت مستعرة ، والكلب (الداشهوند) مازال نائمًا ، والغرفة فى منتهى الدفء ..

قال لنفسه :

- « إننى لرجل محظوظ .. »

وجد سجل الضيوف على البيانو ، فأخذه ودون به اسمه وعنوانه .. ولم يكن هناك سوى اسمين قبله ..

أحدهما هو (كريستوفر مولهولاند) من (كارديف) ، والآخر (جريجورى تمبل) من (بريستول) ..

غريب ! إن اسم (كريستوفر مولهولاند) يقرع جرساً ما فى ذاكرته .. أين قرأ هذا الاسم الغريب من قبل ؟ أكان زميلاً فى المدرسة ؟

أكان صديقا لأبيه أم تقدَّم لأخته ؟

وبدأ يفكر فى الاسم الآخر ..

- « شابان ظريفان .. »

جاء الصوت من خلفه ، فاستدار ليرى صاحبة المنزل تدخل حاملة صينية فضية فى يدها ، فاستدار وقال لها :

- « معذرة .. لكن هذه الأسماء تبدو مألوفة .. »

- « أحقًا ؟ كم أن هذا مثير ! »

- « أنا متأكد أننى سمعتها من قبل . ربما كان ذلك فى الصحف .. لم يكونوا من المشاهير .. ليسوا لاعبى كرة قدم أو شيئا كهذا .. »

وضعت الصينية ، وقالت :

- « مشاهير .. لا .. لا .. لكنهم كانوا شديدى اللطف والوسامة .. أؤكد لك هذا .. كان هذان الشابان طويلى القامة وسيمين مثلك .. »

أشار إلى السجل ، وقال لها :

- « انظرى ! إن آخر تاريخ هو منذ عامين .. »

- « أهو كذلك ؟ »

- « يا عزيزى ! - وهزت رأسها - « لم أفكر فى هذا .. كم يمر الزمن سريعا .. أليس كذلك يا مستر (ويلكنز) ؟ »

- « (ويفر) .. (ويفر) .. »

- « آه بالفعل ! »

وجلست على الأريكة ، وأضافت :

- « كم أن هذا سخيف منى .. أعتذر .. إن الكلام يدخل من أذن ليخرج من أخرى .. »

قال لها :

- « ألا تفهمين كم أن هذا مذهل ؟ أتذكر هذين الاسمين بشكل منفصل ، لكنهما مرتبطان فى ذاكرتى

بشكل ما .. كأنهما اشتهرا بنفس الشيء .. هل تفهمين ما أريده ؟ مثل (تشرشل) و (روزفلت) .. »

قالت :

- « كم أن هذا مسلٍ ! والآن تعال جوارى لأقدم لك قدح شاى ، وبسكويتة زنجبيل قبل أن تنام .. »

ووقف جوار البيانو يرمقها وهى تعدّ الأقداح والأطباق .. كانت لها يدان سريعتا الحركة وأنامل حمراء ..

قال لها :

- « لقد قرأت هذين الاسمين فى الصحف .. أنا واثق من هذا .. ولسوف أتذكر بعد ثانية .. »

لا شىء يضايق أكثر من الذكرى التى تقبع هنالك خارج أسوار ذاكرتك ؛ لكنه لم يقبل الاستسلام ، وقال لها :

- « لحظة .. انتظرى لحظة .. ألم يكن تلميذًا فى مدرسة ريفية .. ذلك الـ (مولهولاند) .. ثم فجأة ... »

- « هل لك فى سكر ؟ »

- « كان تلميذًا فى (إيتون) .. ثم فجأة .. »

- « خطأ .. لم يكن تلميذًا حين جاء لى .. كان طالبًا فى (كمبردج) .. هلم .. إن الشاى جاهز .. »

وابتسمت له تدعوه للجلوس ، فاتجه ليجلس جوارها ..

ولنصف دقيقة راحا يرشفان الشاى دون كلمة ، لكن (بيلى) كان يعرف أنها تنظر له .. كانت عيناها على وجهه ترمقانه من فوق القدح ، ومن حين لآخر يشم رائحة عطرية معينة تفوح منها .. ربما كرائحة الجلد الجديد أو رائحة ردهات مستشفى ..

قالت :

- « مستر (مولهولاند) كان يحب الشاى .. لم أر من يحب الشاى مثله .. »

قال لها :

- « أخاله رحل منذ زمن طويل .. »

رفعت حاجبيها ، وهتفت :

ـ « لكنه لم يرحل يا عزيزى .. إنه هنا .. فى الطابق الثالث .. كلاهما .. »

وضغطت على ركبته وتساءلت :

ـ « كم عمرك يا عزيزى ؟ »

ـ « سبعة عشر عامًا .. »

ـ « هذا هو العمر المناسب .. كان (مولهولاند) فى مثل سنك ، لكن أسنانه لم تكن بيضاء كأسنانك .. أما مستر (تمبل) فكان فى الثامنة والعشرين ، لكنى ما كنت لأخمن هذا ما لم يخبرنى .. ولم تكن ثمة لطخة واحدة فى جلده ! »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « كان جلده كجلد طفل .. »

ساد الصمت ، والتقط القدح فوضعه فى الطبق ثم ظلّ يتأمل الغرفة حوله ويعض شفته ..

قالت له :

ـ « هذا الببغاء .. هل تعرف ؟ أنا من قام بتصبيره هكذا .. »

ـ « لقد خدعنى تمامًا حين رأيته من النافذة .. حسبته حيًا .. »

ـ « للأسف لم يعد .. »

ـ « إن التصبير متقن بحق .. ولا يبدو لى ميتًا على الإطلاق .. »

قالت فى فخر :

ـ « هل قابلت (باسيل) الصغير ؟ »

وأشارت إلى الكلب الـ (داشهوند) الراقد أمام النار ، هنا تذكر (بيلى) أن الحيوان ظل راقدًا طيلة الوقت ..

مدّ يده ولمس ظهره فوجده صلبًا باردًا .. أزاح الشعر فوجد أن جلده رمادى أسود جاف ..

ـ « رباه ! عمل رائع ! »

واستدار باحترام شديد إلى المرأة .. فقالت :

ـ « أنا أحنط وأصبّر .. كل حيواناتى حين تموت .. هل لك فى مزيد من الشاى ؟ »

ـ « لا .. شكرًا .. »

فالحقيقة أن الشاى كان له مذاق اللوز المرّ ، ولم يحبه كثيرًا ..

ـ « هل وقعت فى السجل ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « حسن .. لأنه فيما بعد قد أنسى اسمك عندها سأعود للسجل وأتذكره .. مازلت أفعل هذا مع مستر (مولهولاند) .. ومستر .. مستر .. »

قال لها :

ـ « (تمبل) .. مستر (تمبل) .. معذرة على السؤال .. لكن ألم يأت ضيوف آخرون هنا طيلة السنوات الثلاث الماضية ؟ »

رفعت قدحها وأمالت رأسها لليسار ، ونظرت له من طرف عينها ، وبرقة ابتسمت وقالت :

ـ « نعم يا عزيزى .. فقط أنت .. »

* * *



مسز (بيكسبى) ومعطف الكولونيل ..

(أمريكا) هى بلد الفرص للنساء .

إنهن يملكن بالفعل خمسة وثمانين بالمائة من ثروات البلد ، وعما قريب سيملكنها كلها .. لقد صار الطلاق ترتيبًا سهلًا يمكن عمله ببساطة .. ويمكن للنسوة الأمريكيات تكراره كلما أردن ذلك ، من ثم تتضاعف أرباحهن ..

كذلك يمنح موت الزوج جوائز ثمينة للمرأة ، وتفضل بعض النساء الاعتماد على هذه الطريقة ، عالمات أن فترة الانتظار لن تطول لأن كثرة العمل وارتفاع ضغط الدم ، سيقودان البائس حتمًا إلى الموت .. سيموت على مكتبه وأمامه زجاجة من الأقراص المهدئة وأدوية القلب ..

ويبدو أنه كلما زادت معدلات الطلاق كلما ازدادت الأجيال الجديدة حماسًا.. إن الشبان يتزوجون كالفئران ، وحين يصلون سن الثلاثين يكون لأكثرهم زوجتان سابقتان ..

وللإنفاق على النساء يجب على الرجال أن يعملوا كالعبيد ، وفى الحقيقة هم كذلك فعلًا ، وفى النهاية يصلون إلى منتصف العمر حيث يغزو الخوف قلوبهم .. وفى الليل يحتشدون فى الأندية فى مجموعات صغيرة يبتلعون الأقراص الموسعة لشرايين القلب ، ويحكون لبعضهم القصص التى تظهر الرجال أقوى وأقدر ..

هناك قصص كثيرة من هذه النوعية ، لكن ثمة واحدة أحسب أنها ستروق لك ، واسم القصة هو (مسز بيكسبى ومعطف الكولونيل) ، وتحكى عن شىء كهذا :

كان مستر ومسز (بيكسبى) يعيشان فى (نيويورك سيتى) ، وكان هو طبيب أسنان متوسط الدخل ، أما هى فكانت امرأة جشعة نهمة إلى المال ، واعتادت أن تسافر إلى (بنسلفانيا) كل شهر لتزور خالة لها فى (بالتيمور) ، وكانت تمضى معها يوم الجمعة ثم تعود إلى زوجها يوم السبت لتعد له العشاء ..

وكان الزوج راضيًا عن هذا الترتيب ، فما كان ليحرم المرأتين من اللقاء كل شهر مرة ..

وكان يقول لزوجته :

ـ « ليكن .. ما دمت لا تتوقعين منى أن أذهب معك .. »

فتقول له :

ـ « بالطبع لا يا عزيزى .. إنها ليست خالتك بل خالتى أنا .. »

حتى الآن لا مشاكل .. لكن المشاكل تظهر فى (بالتيمور) لأن هناك رجلاً يدعى الكولونيل ، هو مصرّ على ملاحقتها ولا يكف عن إبداء إعجابه بها .. وكان ثريًا جدًا يسكن فى منزل فاخر بلا زوجة أو أسرة تنغص حياته .. فقط بعض الخدم المخلصين ، وكان يمضى الوقت فى ركوب الخيل وصيد الثعالب ..

بدأت القصة فى رأس السنة ، حين كانت مسز (بيكسبى) واقفة على محطة (بالتيمور) تنتظر قطار العودة ..

جاء صوت من خلفها يقول :

ـ « إن الكولونيل طلب منى أن أعطيك هذا .. »

استدارت فرأت وصيف الكولونيل ـ وهو قزم أسمر ـ يقف خلفها ويدفع أمامه صندوقًا من الورق المقوى ..

صاحت مندهشة :

ـ « ما هذا يا (ويلكنز) ؟ هل معه رسالة ؟ »

ـ « لا يا سيدتى .. »

قالها وانصرف ، فلما جاء القطار حملت الصندوق إلى استراحة السيدات وأغلقت الباب .. كم أن هذا مثير ! هدية من الكولونيل ..

بدأت تفك الخيط ، وقالت لنفسها :

ـ « أراهن على أنه ثوب .. ربما ثوبان .. لن أنظر .. سأتحسس ما به وأحاول أن أخمن .. أخمن اللون والثمن كذلك .. »

أغمضت عينيها ، ورفعت الغطاء ، ثم وضعت يدها بالداخل .. كان هناك ورق تغليف سمعته (يخشخش) ، وكان هناك مظروف لم تبال به وواصلت التحسس .. يداها رقيقتان كالهمسات ..

وصلت إلى شىء ما ، فصاحت :

ـ « مستحيل أن يكون هذا حقيقيًا ! »

كان قطعة سميكة من الفراء تحدث صوتًا جميلاً إذ تحتك بالورق .. وحين رفعتها وجدت أنه معطف كامل من الفراء الرائع جعل أنفاسها تحتبس .. إنها لم تر فراء (المنك) قط .. نعم .. هو من (المنك) بالتأكيد .. وما أجمل لونه ! إنه أسود نقى .. فى البداية حسبته أسود ، ولكن حين قربته من النافذة لمحت شبحًا من اللون الأزرق فيه .. أزرق غنى كالكوبالت ..

وقرأت البطاقة المثبتة :

ـ « منك (لبرادور) البرى .. »

ثم لا شىء آخر ، ولا علامة على المصدر ولا الثمن .. كم كلف هذا ؟

لم تجرؤ على التفكير .. ثلاثة .. أربعة .. ستة آلاف دولار ؟ ربما ..

لم تستطع الانتظار حتى تجربه .. نزعت معطفها الرخيص الأحمر وارتدت هذا .. يا الله ! ملمس الفراء ! من قال لها مرة إنهم يستعملون جلود الحيوانات الإناث للكمَين ، والحيوانات الذكور لباقى المعطف ؟ هناك من قال لها هذا ..

كان المعطف ينزلق فوق جسمها كأنما له حياة خاصة به ، وكأنه جلد ثان لها .. يا له من شعور غريب !

وفى المرآة رأت أن شخصيتها تبدلت بالكامل .. بدت مبهرة ثرية مشعة قوية .. كل هذا فى وقت واحد .. بهذا يمكن أن تدخل أى مكان تريده وسيهرع الناس كالفئران ليلقوها ..

إن هذا أجمل من الكلمات ..

راحت تتحسس الفراء وهى تبتسم .. بالتأكيد ستقبل هذه الهدية ، لكن كيف ؟ إنها فى لهفة ارتداء المعطف نسيت هذه النقطة الجوهرية .. فخلال ساعتين ستكون فى (نيويورك) ، وبعد عشر دقائق تكون فى البيت ، وسيكون زوجها هناك بانتظارها ..

وحتى رجل مثل (سيريل) ؛ يعيش فى عالم أسود من الأنياب وحشو الضروس وقنوات الأعصاب ، سيبدأ فى سؤالها أسئلة كثيرة ، إذا ما عادت من عطلتها بمعطف من فراء المنك ثمنه ستة آلاف دولار .. وهو يعلم أن خالتها لا تملك ثمن هدية كهذه ..

قالت لنفسها بصوت عال :

ـ « لكنى سأحصل على المعطف .. سأحصل على المعطف ! »

ليكن يا عزيزتى .. ستحصلين عليه لكن لا تدعى الهلع يتملكك ..

اجلسى .. وفكرى .. أنت فتاة بارعة .. فكرى ..

بعد ساعتين غادرت القطار فى المحطة ، وكانت بمعطفها الأحمر وهدية الكولونيل فى يدها ، واستوقفت سيارة أجرة ..

قالت للسائق :

ـ « هل تعرف مكان سمسار رهونات[*] ؟

قال وهو ينظر لها بدهشة :

ـ « يوجد كثير منهم فى (سكسث أفينيو) .. »

ـ « قدنى إلى أول واحد فيهم .. »

فى النهاية توقف الرجل بسيارته أمام متجر ، فقالت له :

ـ « انتظرنى هنا من فضلك .. »

وبالداخل كانت قطة عملاقة تلتهم رءوس السمك الموضوعة على ورقة جريدة ، ونظرت لها لحظة بعينيها الصفراوين ..

(*) سمسار الرهونات يقدم نوعا من الفوائد الربوية ، لهذا لا نعرفه فى (مصر) حاليًا .. الفكرة هنا أن من يمر بضائقة مالية يرهن شيئا ثمينا لدى السمسار مقابل مبلغ معين ، فإذا حصل على مال بعد هذا ، قام بفك الرهن واسترداد حاجياته ، وإن لم يحصل ظل الشىء عند السمسار .

وقفت المرأة تنتظر وهى ترمق الأشياء الموضوعة.. الساعات .. الأسنان الذهبية .. لماذا يرهن الناس أسنانهم دوما ؟

جاء صاحب المحل من الداخل ، فقالت له :

ـ « مساء الخير .. »

وراحت تفك رباط اللفافة الورقية ، وقالت :

ـ « معذرة .. إنها حماقة منى ، لكنى فقدت حافظتى واليوم السبت وكل المصارف مغلقة .. أريد بعض المال حتى يوم الإثنين .. هذا معطف ثمين لكنى لا أطلب الكثير .. وسأرده يوم الإثنين .. »

لم يتكلم الرجل ، لكنه حين رأى الفراء الثمين ينسكب على المنضدة أمامه ، رفع حاجبيه وأعاد رأسه للوراء ..

قالت :

ـ « لو كانت معى ساعة أو خاتم ، لأعطيتك إياها .. »

راح يداعب المعطف ، وقال :

ـ « يبدو جديدًا .. »

ـ « إنه كذلك .. ماذا عن خمسين دولارا ؟ »

ـ « ليكن .. »

ـ « إنه يساوى مائة مرة هذا المبلغ ، لكنك ستعنى به حتى أعود .. »

أخرج الرجل بطاقة من درجه ، لها نفس منظر البطاقات التى يضعونها حول الحقائب ، لكنها كانت مُعدة لتقطع إلى نصفين متساويين ..

سألها :

ـ « الاسم ؟ »

قالت :

ـ « لست بحاجة إلى الاسم والعنوان.. أليس كذلك ؟»

هز كتفيه ، وانتقل القلم إلى سطر النقاط التالى ، وقال :

ـ « من الأفضل ألا تفقدى هذه البطاقة .. »

ـ « لن أفقدها .. »

ـ « هل تفهمين أن من حق كل من يجد هذه البطاقة أن يطالب بهذا المعطف ؟ »

ـ « نعم .. أعرف .. »

ـ « الوصف .. ماذا أكتب كوصف ؟ »

ـ « لا وصف .. شكرًا .. »

توقف القلم عند سطر النقاط ، وقال لها :

ـ « يجب أن تصفيه .. هذا مهم لبيع البطاقة لو أردت .. »

ـ « لن أبيعها .. انظر .. أنا لست مفلسة لو كان هذا ما تعنيه .. لقد فقدت حقيبتى فقط .. »

ـ « ليكن .. كما تريدين .. »

هنا خطرت لها فكرة ، غير سارة ، فسألته :

ـ « اسمع .. لو لم أكتب الوصف هنا ، فكيف أتأكد من أنك ستردّ لى المعطف ولا شىء سواه ؟ »

ـ « إنه مكتوب فى الدفاتر .. »

ـ « كل ما لدىّ هو رقم .. وبوسعك إعطائى أى شىء .. »

سألها :

ـ « هل تريدين الوصف أم لا ؟ »

ـ « لا .. إننى أثق بك .. »

أعطاها نصف البطاقة ، ثم أخذ الحافظة من جيبه ، وأخرج خمسين دولارًا ، وقال لها :

ـ « الفائدة ٣ ٪ شهريًا .. »

ـ « شكرًا .. »

غادرت المحل حيث كانت سيارة الأجرة تنتظر ، وعادت لدارها ..

* * *

قبلت زوجها ، وقالت له :

ـ « عزيزى .. هل افتقدتنى ؟ »

كان (سيريل بيكسبى) جالسًا يقرأ الجريدة ، ونظر لساعته ، وقال :

ـ « الثانية عشرة والنصف .. لقد تأخرت .. »

ـ « إنه القطار .. إن خالتى ترسل تحياتها .. »

طوى الصحيفة ووضعها على ذراع المقعد ، وراح يرقب زوجته ..

استرخت على الأريكة والحقيبة على حجرها ، وقالت :

ـ « ماذا فعلت أمس يا عزيزى ؟ »

ـ « أتممت بعض الأطقم ، كما راجعت حساباتى ..»

ـ « هل تعرف ؟ لقد حان الوقت كى يقوم الآخرون بالعمل الشاق بدلاً منك .. لم لا تكلف الفتى بعمل الأطقم ؟ أنت أهم من هذا .. »

ـ « أحب أن أفعله بنفسى .. إننى فخور بالأطقم التى أصنعها .. »

ـ « أعرف هذا ، وأعرف أنك ممتاز ، لكن ماذا عن الحسابات ؟ لم لا تقوم بها تلك الآنسة (بولتنى) .. إنه عملها .. »

ـ « هى تفعل ذلك .. لكنها لا تعرف من الثرى ومن غير الثرى من مرضاى .. »

تناولت منديلا من حقيبتها كأنما لتتمخط ، ثم هتفت :

ـ « آه ! انظر ! »

وأبرزت البطاقة ، وقالت :

ـ « لقد وجدت هذه على مقعد سيارة الأجرة .. إن عليها رقمًا .. ربما هى بطاقة يانصيب أو شىء كهذا .. »

أخذ البطاقة ، وتفحصها بدقة كأنما هى ضرس مسوس ، ثم قال :

ـ « هذه بطاقة رهن .. عليها اسم وعنوان المتجر..»

ـ « آه يا للخسارة ! حسبتها شيئًا مهمًا .. »

ـ « بل فى الواقع ربما تكون شيئًا رائعًا .. »

وراح يشرح لها نظام الرهن .. إن كل من يملك هذه البطاقة يمكنه أن يطالب بالشىء ..

- « وهل تعتقد أن الأمر يستحق الجهد ؟ »

- « أعتقد أنه يستحق البحث .. إن المبلغ المدوّن هنا خمسون دولارًا .. أى أن الشىء المرهون لن يقل ثمنه عن خمسمائة دولار ، لأن سمسار الرهن لا يعطى أكثر من عشر قيمة الشىء .. »

- « لم أعرف هذا .. »

- « ما أكثر ما لا تعرفين يا عزيزتى .. الآن بما أننا لا نعرف صاحب هذه البطاقة ، فمن حقنا أن نطالب بالشىء المرهون فى أى وقت ، مقابل خمسين دولارًا .. »

- « آه ! كم أن هذا مثير ! خاصة ونحن لا نعرف ما هو .. ربما يكون أى شىء .. »

- « ربما .. لكنه فى العادة ساعة أو خاتم .. يجب أن ننتظر لنرى .. »

- « إذن سأهرع صباح الإثنين لأرى .. »

- « أعتقد أن هذه مهمتى أنا .. »

- « لا .. دعنى أفعل أنا .. »

- « لا أظن .. سأحصل عليه وأنا فى طريقى للعمل .. »

- « لكنها بطاقتى أنا .. »

- « أنت لا تعرفين شيئًا عن سماسرة الرهن ، وربما يخدعك الرجل .. ومن يدرى ؟ قد يكون الشىء رجاليًا تمامًا : ساعة جيب .. أزرار قميص .. »

- « إذن سأقدمه لك فى عيد الميلاد ، لكن لو كان شيئًا أنثويًا فسآخذه لنفسى .. »

- « هذا عادل .. لكن لم لا تأتين معى إلى المتجر ؟ »

كادت توافق ، ثم أمسكت فى اللحظة المناسبة .. إن آخر ما تريده أن يحييها السمسار كعميلة قديمة فى وجود زوجها ..

قالت :

- « لا .. من المثير أن أبقى هنا وأنتظر .. »

- « على كل حال لو لم يرق لى الشىء فلن آخذه .. »

- « ودس البطاقة فى جيبه .. »

★ ★ ★

وجاء يوم الإثنين أخيرًا ، فأوصلته إلى الباب ، وقالت له :

- « لا تجهد نفسك فى العمل .. »

- « لا .. »

- « هل ستجد وقتًا للمرور على سمسار الرهونات ؟ »

- « آه ! ربّاه ! لقد نسيت .. سآخذ عربة أجرة وأمرّ عليه قبل الذهاب للعمل .. »

- « أنت لم تضيّع البطاقة .. أليس كذلك ؟ »

- « أرجو ألا يكون هذا » - وتحسس جيبه - « إنها هنا .. »

- « ومعك خمسون دولارًا ؟ »

- « نعم .. »

أصلحت ربطة عنقه ، وقالت :

- « هل تتصل بى من العيادة لو كان شيئًا جميلاً ؟ »

- « نعم .. »

- « وبعد ساعة حين دق جرس الهاتف ، هرعت لترفع السماعة قبل أن ينتهى أول رنين ، فسمعته يقول :

- « لقد حصلت عليه ! »

- « آه يا (سيريل) ! هل هو جميل ؟ »

- « جميل ؟ إنه خرافى .. انتظرى حتى تريْنه .. »

- « وما هو ؟ »

ـ « أنت فتاة محظوظة .. هذا هو كل شىء .. إننى لأتساءل كيف تم رهنه مقابل خمسين دولارًا .. هناك شخص أحمق .. »

ـ « كف عن جعلى أجنّ .. هل هو قرط ؟ »

ـ « خطأ .. »

ـ « خاتم من الماس ؟ »

ـ « إنك حتى لم تقتربى من الصواب .. لسوف أحضره معى حين أجىء ليلاً .. »

صاحت :

ـ « بل سآتى لآخذه بنفسى .. »

ـ « بل لا داعى لأن هذا سيدمّر جدول الصباح لدىّ .. إننى متأخر نصف ساعة .. »

ـ « إذن سآتى ساعة الغداء .. »

ـ « ليست لدىّ ساعة غداء .. حسن .. تعالى فى الواحدة والنصف .. وداعًا .. »

وفى الموعد بالضبط وصلت إلى مكتبه ودقت الجرس..

فتح لها الباب بمعطفه الأبيض واقتادها إلى العيادة ، وقال للمرضة :

ـ « اذهبى للغداء الآن يا مس (بولنتنى) .. »

وانتظر حتى غادرت الغرفة ، ثم اتجه إلى الخزانة ، وقال لزوجته :

ـ « والآن أغمضى عينيك .. »

فعلت كما قال ، وفى الصمت سمعته يفتح الباب ، وقال لها :

ـ « هلمى افتحى عينيك ! »

ـ « لا أجرؤ .. »

وضحكت فى مرح ، فصاح :

ـ « هذا (منك) .. (منك) حقيقى ! »

فتحت عينيها .. لكن لم يكن هناك معطف .. كانت هناك ياقة صغيرة سخيفة من الفراء فى يد زوجها ..

قال لها ملوحًا بالياقة :

ـ « هلمى .. متعى عينيك بها ! »

وضعت يدها على فمها وتراجعت للوراء .. إننى سأصرخ .. أعرف أننى سأصرخ ..

قال لها :

ـ « ماذا هناك ؟ ألا تحبينها ؟ »

ـ « أ .. أعتقد أنـ .. أنها جميلة .. »

ـ « لقد قطعت أنفاسك للحظة .. أليس كذلك ؟ »

ـ « بلى .. بلى .. »

ـ « هل تعلمين ؟ أراهن أنها تساوى ثلاثمائة دولار على الأقل .. »

ـ « لا أشك فى هذا .. »

وانحنى ووضع الشىء السخيف حول عنقها ، وقال :

ـ « جربيها .. إنها رائعة وتناسبك .. ليس كل إنسان يستحق فراء المنك يا عزيزتى .. »

ـ « نعم .. أعرف هذا .. »

ـ « أتركيها فى المنزل عند التسوق ، وإلا حسبونا مليونيرات وضاعفوا الأسعار من أجلنا .. »

ـ « سأتذكر هذا .. »

ـ « ولا تتوقعى هدايا منى فى عيد الميلاد .. إن الخمسين دولارًا قد أرهقتنى ماديًا .. »

واستدار إلى الحوض ليغسل يديه ، وقال لها :

ـ « والآن اذهبى وابتاعى غداء طيبًا ، كنت أتمنى مرافقتك لكن العجوز (جورمان) ينتظر الدخول لأصلح طاقم أسنانه .. »

قالت لنفسها ، سأقتل سمسار الرهونات .. سأقتله ! سأذهب لمتجره الآن وألقى هذه الياقة القبيحة فى وجهه ، فإن أبى أن يعطينى معطفى سأفتك به ..

وانطلقت خارجة ..

فى اللحظة ذاتها كانت الممرضة (بولتنى) خارجة فى طريقها إلى الغداء ، وقالت لها وهى تبتسم :

ـ « أليس يومًا رائعًا ؟ »

كان شىء فى مشيتها ورائحة عطرها يذكرانك بالملكة .. بالضبط ملكة فراء المنك الأسود الذى أهداه الكولونيل لمسز (بيكسبى) .

رولد دال

1959

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

رحيق الملكات

33

هذا خليط غريب من السخرية والطرافة والرعب والشخصيات الكاريكاتورية ، والمفاجآت غير المتوقعة ، والقسوة غير المبررة ، وغير ذلك من لمسات مميزة لأدب (روالد دال) ..

هذا الكتاب يحوى الخيال .. كل الخيال .. ولا شىء غير الخيال ....

العدد القادم
وصية الثلاثين الف دولار



الثمن فى مصر ١٥٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم